الدُّرَرُ النَّقِيَّةُ

بِآدَابِ مُرِيدِي الطَّرِيقَةِ الشَّاذُلِيَّةِ

أَوْ

مَعَالِمُ التَّحْقِيقِ بِآدَابِ أَهْلِ الطَّرِيق

لِخَادِمِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ

أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُور قُرْطَامْ

الحسيني المالكي الشاذلي

التونسي الفلسطيني



اَلطَّبْعَـــــةُ الْثانية

مزيدة ومُصحَّحه

1436 هـ – 2015 ر

ISBN: 978-9938-12-997-7

اَلْكَـاتِـبُ فِي سُطُـورٍ

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق له 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق في صفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها.

استشهد والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر شباط عام 1973 رومي.

ارتحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شتى وأقطار عديدة.

تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

ـ الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدي محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمّد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي كمال الدين جعيط المالكي الحنفي مفتي الجمهورية التونسية.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمد المازوني المالكي التونسي.

ـ الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المفسر سيدي محمد المنصف جعيط المالكي التونسي.

ـ السيد العلامة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ الولي الصالح سيدي محمد تقي الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث الأصولي المفسر محمد المنتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث عبد الله التليدي الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة الأصولي الفقيه محدّث المغرب الناقد الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ وتدبج مع إمام الحرمين سيدي محمّد علوي المالكي الحسني المكي.

تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة والعامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.

يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ويروي موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كـ: سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربعة.

مما قاله آبائه رحمهم الله عنه:

قال الشيخ محمّد الشاذلي النيفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وكان محل الابن العالم البحاثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أمده

الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير الوافر مما غفل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان اللّـه له ولوالديـه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريظه على كتاب المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة:

"وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلَّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، ثم قال: وتوسع في معناه توسع خِرِّيت - الذي عرف خبايا الأمور-، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد".

وقال فيه سيدي كمال الدين جعيط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وإن مقام ابننا الشيخ أحمد لمن الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقِّين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدراً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

"وإن من بين من كرع من مناهل العرفان، وملأ وطابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، اِبننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي: أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل، التونسي المقام، فقد لازمني وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإني المسمّى: كمال الدين بن محمد العزيز جعيِّط، طالب العلم الشريف، وأحد المتخرجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيز إبني أحمد

المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفهماً وعلماً، وهو من الذين لا يخشون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه ممن أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به أي انتفاع، وقد حبر قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مريدوه، وقد كنا مستأنسين به بيننا نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباحث في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإني جازم بأنه سيؤهله مستواه المعرفي في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وتُرسّمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدريس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة لزيغ الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأ الوطاب، بما حسن من العلوم الشرعية وطاب، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقاصدها بحيث لا تتوارى عنه بحجاب، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكين بسيرة وسنة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة اللـه رب العالمين، واللّـهُ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾البقرة: ٢٦٩".

وقال فيه سيدي محمد المازوني التونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"فإن ابني الأستاذ أحمد منصور قرطام أبى إلا أن يبلغ درجة قصوى من هضم علم الكلام، فبعد أن درس ذلك عليَّ سنة 89 بجامع الزيتونة، ونال مني إجازة في ذلك محررة بخط يدي، ها هو ذا يعيد الكرَّة من جديد، أعني بذلك

أنه اتصل بي في داري برادس، وطلب مني أن يعيد الدراسة لمزيد التحقيق، ورغبة في التعمق، فلبيت بل رحبت بذلك، وتجددت الصلة بيني وبينه، وكانت الدراسة مني، وكان منه حسن القبول وكمال الاستعداد، وبذلك تجددت مني الإجازة بل الشهادة على حسن الإجادة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وفقه الله وأعانه، وهو بحق جدير بأن يدرس علم الكلام خاصة من كتاب طالع البشرى، والسلام".

وقال فيه سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".



الْـحَمْـدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَـالَـمِينَ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّـدِنَا مُحَمَّـدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِـهِ وَصَحْبِـهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَعَلَى كُـلِّ مَنِ اهْتَـدَى بِهُـدَاهُ، وَاتَّبَـعَ خُطَـاهُ، إِلَى يَـوْمِ يَلْقَـاهُ.

﴿ بَيْـنَ يَـدَيِ الْقَـارِئِ ﴾

إن من أهم القضايا التي يعاني منها التصوف ومدارسه بكل طرقها ومشاربها المتبعة في هذا الزمان ما يظهر من الدعاوي العريضة التي يدعيها جهلة المتصوفة، وأثرها الغير محمود على الطريق وأهله، فتجد منهم من يبرر جهله وخروجه عن طريق الحق وأهله بزعمه أنه لا حاجة للعلوم الشرعية ما دام شيخ الطريق حياً، وأنه يكفيهم تحمل أعباء التعلم، وإن هذا هو الضلال والمروق من الدين بعينه.

كيف وقد قال شيخ الطائفة سيدي ومولاي الجنيد البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به[1]"، فتحصيل علوم الدين الضرورية من: توحيد، وفقه، هو أساس الوصول للعلوم الأخرى لا سيما طريق القوم، ومن الخطر بمكان أن كثيراً من الناس يمتلكون الإجازات التي تنتسب بهم إلى مشايخ كبار الطرق، ولكنهم من الناحية العملية والتطبيقية لا يعرفون شيئاً عن الطريق التي ينتمون إليها، ولا حتى عن كيفية ترتيب أورادها، وكيفية الذكر بها، لأن كل همهم الحصول على الإجازة لا الانتساب لأصل الطريق، زيادة على ما سبق فإنهم لا يعرفون جملةً ولا تفصيلاً حقيقة التلقين، ولا ماهيته، وما معنى الخلوة، والإذن، والصحبة، وخدمة الشيخ، وما سوى ذلك من القواعد والأسس التي تنبني عليها الطريق، ومن باب أحرى وأولى عدم

---

1) الإمام محمَّد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية، ص:141.

معرفة الفوارق التي يختلف بها هذا المربي عن ذاك في تسليك المريد، ورغم ذلك نجدهم يدعون الانتماء إلى أهل الله بسبب تلك الإجازة، والصحيح أنهم لم يتأدبوا على يد شيخ ويلازموه ويتلقوا عنه الأوراد وبقية ما يتعلق بعلم القوم، فكان لزاماً علينا أن نبين في هذه الرسالة أقل الواجب الذي يحتاجه كل من أراد أن يسلك طريق القوم، بفروعها المنتشرة من قادرية وشاذلية ورفاعية وغيرها من الطرق المُؤسسة على أصول الحق من علماء الإسلام قاطبةً، لأن الطرق منبعها واحد وفروعها متعددة ومصبها واحد، فهي مشتركة بالمنبع والمصب، ومختلفة بطرق الوصول كبقية المدارس المُتبعة التي تصل بالمؤمن الصادق إلى مرضاة الله.



﴿مُقَدِّمَـةٌ﴾

الحمد لله الذي زين قلوبنا بالإيمان، ومَنَّ على ظواهرنا وجوارحنا بالإسلام، وزكى نفوسنا وجعلها في مقام الإحسان، والصلاة والسلام على من ازدانت بوجوده الأكوان، وعلى آله أهل الصفاء وملجأ الخلان، وصحبه أهل الصدق والعرفان، وعلى كل من اهتدى بهديهم وسار على نهجهم على مر الزمان.

أَمَّـا بَعْـدُ: فإنه قد رَغِبَ إليَ من شُغفَ بحبهم قلبي أن أبين لهم بعض آداب طريق القوم، التي يحتاج إليها كل مبتدِ ولا يستغنِ عنها كل منتهِ، ولاسيما بعد أن تلقوا عني كثيراً من العلوم الأساسية: كالتوحيد والفقه وأصوله وعلم مصطلح الحديث ومتعلقاته وعلوم القرآن، مع مجالستهم لي منذُ قدومي إلى غزة هاشم قبل ستة عشر سنة - 1419 هجري الموافق 1998 رومي - وحضورهم معي حلقتَيْ ذكرِ الخميس والسبت وما يدور فيهما من كيفية الذكر ابتداءً وانتهاءً وقراءة الأحزاب، مع كثرة مذاكرتهم وترغيبهم في التصوف وأهله، وتميزهم عمن سواهم من العلماء سالفاً وحاضراً ومستقبلاً، فلبّيت رغبتهم بما طلبوا بل ورحبت بذلك غاية الترحيب، لما فيه من تأدية واجبٍ من الواجبات التي تتعلق بالمقامات الثلاثة: الإيمان والإسلام والإحسان، قربةً لله ولرسوله، وأداءً للأمانة التي أُنيطت بأعناقنا وهي نشر العلم الصحيح، ونسبته إلى أهله توحيداً وفقهاً وسلوكاً، كما سنبينه لاحقاً، ونزولاً عند أمر سيدي ومولاي عبد العزيز بن محمد الصديق الغماري الحسني عليه وعلى آبائه السلام بما أوصاني به وكلفني ورغبني ولقنني وأذن لي بالتلقين، كما هو مُصرحٌ به في إجازته لي بعد أن مددت له يد البيعة وناولني بيده الشريفة كتاب "نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء" الذي جمع غالب أوراد وأحزاب الطريقة

الشاذلية، والذي اختص به أهل تونس دون سواهم، وكتاب "الأنوار القدسية في شرح الوصية الصديقية"، وكذلك ناولني شرحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على مقطوعة من الزجل الصوفي للإمام أبي الحسن علي بن عبد الله النّميري الشُشْتُري الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال في أولها: (بدأت بذكر الحبيب)، وسمى شرحها "فتح القريب المجيب بشرح بدأت بذكر الحبيب"، وشرحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على أبيات الإمام الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المسمى "كشف الريب عن أبيات الجنيد توضأ بماء الغيب"، وكتابه "السوانح".

وقد أوصاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بوصايا ما زالت آثارها وبركاتها عليّ تتوالى، وكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (يا بُنيَّ، إنَّ متطلبات الحياة قد تغيرت، فالبارحة ليس كاليوم، بالأمس كانت سهولة العيش، والقناعة والبركة، والمواساة والتكافل الاجتماعي، أما اليوم فالجشع والطمع وعدم القناعة وقلة البركة في الوقت والمال والولد هو الغالب على حال الناس، وطريق القوم أساسٌ يجب الحفاظ عليه كبقية الثوابت الشرعية، وذلك بالمحافظة على الحدِّ الأدنى من الأذكار والأوراد، مع الإكثار من الدروس الشرعيّة لاسيما علم الدين الضروري).

ففهمتُ منه مقاله، وأضاءت سويداء قلبي أنواره، فرتبتُ ما أرشد إليه من أوراد على مدار الأيام بالحدِّ والعدِّ، وأعدْتُ الفروع إلى الأصول عملاً بقولهم: (الأشياء تعود لأصلها بأدنى سبب)، فكل فروع طرق الشاذلية تعود إلى الطريق الأم، وهي التي سادت الزمان منذ بروزها؛ لأنها دعت إلى أصلين ثابتين هما: نشر الحقِّ باللسان والسِّنان، وعلى ذلك مدار دين الإسلام.

وقد انتشرت هذه الطائفة المباركة انتشار الشمس على الأرض بالطول والعرض، وحصل منهم النفع العميم، فكم من شارد عن الله تعالى ردوه، وكم

من غافل ذكروه، وكم من بعيد مطرود قربوه وأدنوه، وكم من فقير واسوه واغنوه، وكم من جائع أطعموه وأشبعوه، وكم من ظمآن سقوه وأرْوَوْهُ، وكم من خاملٍ ذِكرهُ أشهروه وأظهروه، وما ذاك إلا من تمكنهم من العلم بالله تعالى ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، لأن انتشار طريقهم من كثرة أنوارهم، وشدة حرصهم على متابعة الحبيب الأعظم والرسول الأكرم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فكم من سنة أحيوها، وكم من بدعة أبطلوها، وكم من نار فتنة أخمدوها، وانتشرت بركاتهم فملأت الآفاق، وإني واصفهم وهم يقيناً فوق ما وصفتهم، وناطق ويقيني أني ما أنصفتهم، ولله در القائل:

أَنَـــا لَا أَعْـــرِفُ إِلَّا أَنْـــتُمُ فَـــاجْبُرُونِي بِعَطَـــاءٍ مِـــنْكُمُ
كُلُّ شَـــخْصٍ لِعَزِيـــزٍ يَنْـــتَمِي وَعَزِيـــزِي لَـــيْسَ إِلَّا أَنْـــتُمُ

هذا وأقول لذوي التّحقيق المتخلقين بمحاسن الأخلاق، والسالكين طريق المحبة والتصديق من أهل العلم والعمل، الرافعين هممهم عن مواقع النقص والزلل، اعتذاراً لهم واعترافاً بفضلهم: أنا اعترف أنَّ ليس لي في هذا التصنيف سوى الجمع والترتيب، فليلتقط الناظر الحكمة ولو من غير حكيم، ويغتنم العلم ولو من غير عليم، وإنما أنا متطفل وبجمع كلامهم متكفل، من تأليفهم استقي، ومن تصانيفهم أنتقي، فلا أرى لنفسي من مناصب المصنفين استحقاقاً، ولا لي بأدنى مراتب المؤلفين لِحاقاً، ولولا ذهاب العلم وانقراض أهله الأعلام ما خاض مثلي في هذه البحور العظام، ولا جُعِل قلماً بين السبابة والإبهام، قال أبو علي البصير:

لَعَمْـــرُ أَبِيـــكَ مَـــا نُسِـــبَ الْـــمُعَلَّى إِلَى كَـــرَمٍ وَفِي الدُّنْيَـــا كَـــرِيمُ
وَلَكِـــنَّ الْبِـــلَادَ إِذَا اقْشَـــعَرَّتْ وَصَـــوَّحَ نَبْتُهَـــا رُعِيَ الْـــهَشِيمُ

ولأن كتاب المرء عنوان عقله، وميزان علمه، إذ منه تعرف صفاته، فعقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، بها يستدل على مقدار معرفة أفهامهم، ولست أجهل أن هذا الأمر قد سبق إليه غيري من قبلي، لكن أردت أن أجمع هذا لنفسي وإخواني ومن كان مثلي، ولهذا قال الشيخ أبو الحسن بن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهب في التعلم أدب غزير، ولضلّت أفهام ثاقبة، ولكلّت الألسنة، ولَمَجَّت الأسماعُ كُلّ مُرَدَّدٍ، ولفظت القلوب كُلِّ مُرجعٍ" اِهـ.

ولقد اعتذر من ألف ممن هو أحق مني بالتصنيف، والجمع والتأليف من أكابر العلماء وأعيان السادات الصوفية النبلاء عما لا يخلو منه الإنسان من الخطأ والنسيان، ومع ذلك لم يخل أحد منهم عن متعنت بغير الحق ومنتقد، وعن منصف بالحق معتقد، ولله در القائل:

لَا تَلْتَمِسْ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ مَـا سَـتَرُوا   فَيَهْتِكَ اللَّـهُ سِـتْراً مِـنْ مَسَـاوِيكَا
وَاذْكُـرْ مَحَاسِـنَ مَـا فِـيهِمْ إِذَا ذُكِـرُوا   وَلَا تُعِـبْ أَحَـداً مِـنْهُمْ بِمَـا فِـيكَا

وأسأل الله تعالى بحبيبه ومصطفاه، أن يسترنا ويجعلنا ممن قربه واجتباه، وملأ قلبه بحب مولاه، وشغل لسانه بذكر لا إله إلا الله.



﴿فصل في ترتيب العلوم، وأهميتها، وكيفية تلقيها﴾

اِعلم أيها المريد أنّ:

1) **الواجب الأول** على الاطلاق: في حق المكلف، البالغ، العاقل، الذي وصلته دعوة الإسلام، في حال كونه متمكناً من النظر، وخالياً من المانع، معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك بالصفات التي نصب الله تعالى عليها الأدلة والبراهين، إذ الجهل بالصفة جهلٌ بالموصوف، وإن شرف العلم بالـمعلوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ طه:١٤-١٥، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ محمد:١٩، فهذه الآيات من القرآن فيها إشارة إلى علمين: علم التوحيد، وعلم الفروع، وقد قدم الله تعالى ما فيه إشارة إلى علم التوحيد على ما فيه إشارة إلى علم الفروع، ففهم العلماء من ذلك أن علمَ التوحيد أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق، وقد خصَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، نفسه بالترقي في هذا العلم فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّـهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّـهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَـةً)**[1]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُولَ

1) رواه البخاري.

اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: **أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟** فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(إِيمَـانٌ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ)**[1].

ولأن الأعمال الصالحة لا تقبل بدون الإيمان بالله ورسوله، وأن شرف العلم بالمعلومِ، فَهِمَ العلماءُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن أشرفَ العلوم وأولاها على الإطلاق هو علمُ التوحيد، وما أجمـل قـولَ الأستـاذِ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقـوب بن مجـاهد الطـائي البصري:

أَيُّهَـــا الْمُغْتَـــدِي لِتَطْلُـــبَ عِلْمـــاً ... كُلُّ عِلْـــمٍ عَبْـــدٌ لِعِلْـــمِ الْـــكَلَامِ
تَطْلُـــبُ الْفِقْـــهَ كَيْ تُصَحِّـــحَ حُكْمـــاً ... ثُـــمَّ أَغْفَلْـــتَ مُـــنْزِلَ الْأَحْـــكَامِ

وقد قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عنه في الفقه الأبسط: "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام"، وقال أيضاً: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه، وما يتعلق بالاعتقادات هو الفقه الأكبر"، وقال إمامنا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "أَحْكَمْنَا ذلك قبل هذا"، معناه: أتقنا علم التوحيد قبل علم فروع الفقه، وقال إمام أهل السنة في هذا العلم ـ أي علمِ التوحيد ـ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "أول ما يجب على العبد: العلم بالله ورسوله ودينه"، وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود"، لئلا يُعْبَد الله على جهل، ولتميز صفات الخالق عن صفات المخلوق، كاعتقاد من يعتقد أنه جسمٌ، أو جالسٌ أو في جهةٍ من الجهات، أو وَصْفِهِ بصفةٍ من صفات البشر - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -، فهذا عبادته تكون

1) رواه البخاري.

لشيءٍ توهمه في مخيّلته فيكون مشركاً بالله، وعلى ذلك إجماع أهل السنة كما هو مقرر في بابه من كتب العقائد، وكما هو مبسوط في كتب الفقه من باب الردة أعاذنا الله وإياكم منها، وعلى هذا المعنى فلا تصح عبادته مهما أوتيَ من صيام وقيام وصدقات، لأنه فاقد لأصل الإيمان، وذلك لما جاء عن جندب بن عبد الله قال: (**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَـانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَـانًا**)[1]، وعن عتبان بن مالك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**فَإِنَّ اللَّـهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّـهِ**)[2]، فَفَهِمَ العلماء من ذلك أن من أتقن علم التوحيد ومات على ذلك لا يخلد في نار جهنم على ما كان من العمل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النّساء:٤٨.

2) **الواجبُ الثَّانِـي** على المكلف هو: تحصيل الفروع الفقهية التي تندفع بها الوساوس الشيطانية، وتصح بها العبادات والمعاملات المرضيّة، قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ التوبة:١٢٢، فتُبيِّنُ لنا الآيةُ عِظَمَ مكانة الفقه، وسموَّ منـزلة الساعين لتحصيله، وقـال تعـالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ محمّد:١٩، ولقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "أحكمنا ذلك قبل هذا" فيه تصريح منه أنه بعد تحصيل الشهادتين لا بد من تحصيل حقهما وهو الصلاة والصوم والحج

---

1) رواه ابن ماجه.

2) رواه البخاري ومسلم.

والزكاة، وهو المعبر عنه بضروريات الدين، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه:١٤، في هذه الآية دلالة صريحة على وجوب تعلم الصلاة وما يتعلق بها من أحكام بعد إتقان التوحيد لأنها رأس الأعمال وعماد الدين، وقد عرَّف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الإسلام في حديث جبريل فقال: (**أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْـمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْـمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**)[1]، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**)[2]، فلا غنى لكل مكلفٍ عن هذا العلم لمعرفة الحلال من الحرام، والخبيث من الطيب، وصحيح العبادات والمعاملات من فاسدها، فيعبد ربه على علمٍ وبصيرة، وقد نوه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على مكانة الفقه وحامله فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**مَا عُبِدَ اللَّـهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ، وَلَفَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَـادٌ وَعِمَـادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ**)[3]، وما أجملَ قولَ القائل:

إِذَا مَـــا اعْـــتَزَّ ذُو عِلْـــمٍ بِعِلْـــمٍ فَعِلْـــمُ الْفِقْـــهِ أَشْرَفُ فِي اعْـــتِزَازِ
فَكَـــمْ طِيـــبٍ يَفُـــوحُ وَلَا كَمِسْـــكٍ وَكَـــمْ طَـــيْرٍ يَطِـــيرُ وَلَا كَبَـــازِ

1) رواه مسلم.

2) رواه البخاري.

3) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

فإذا كان الفقه بهذه المرتبة الشريفة، والمزايا المنيفة، لما اشتمل عليه من الأسرار الإلهية، كان الاهتمام به في الدرجة الأولى بعد التوحيد الذي يجب تحصيله قبل كل شيء، وصرف الأوقات النفيسة بل العمر فيه أولى؛ لأنه به تصح العبادة وتسلم من الفساد وتُحف بالرضوان والقبول من الله عَزَّوَجَلَّ، فسبيله سبيل الجنة وطريق المهتدين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والعمل به حرزٌ من النار.

3) **الواجبُ الثَّـالثُ** الذي لابد من تحصيله هو: تهذيبُ النفس وإصلاحُها وتطهيرُها من كل ما يباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يقرب إليه، ويزلف لديه من الأحوال والأقوال والأعمال، وتصفيتها من دنس الأخلاق الذميمة، مثل الهمز والغيبة والنميمة، وتخليتها من الرذائل الشنيعة، مثل الغل والحسد وحب الذات، وهي من أخبث صفات المرء الباطنة، وتحليتها بأنواع الفضائل من الصفات الممدوحة، مثل كظم الغيظ والإيثار وحب الخير للناس، والرقي بالأرواح إلى مراتب الفلاح، وهو ما يعبر عنه بعلم الزهد أو السلوك أو الأخلاق أو الأدب، فكلها مسميات لعلمٍ واحد وهو علم التصوف الذي هو في الحديث مقامُ (**الإحسانِ**)، والذي هو أحد أركان الدين الثلاثة، لما جاء عن سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (**بَيْنَمَـا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّـهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **اَلْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ،**

وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَـانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْـمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْـحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةِ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ: أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اَللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)[1].

فَيَتَبَيَّنُ من الحديث أن مقامَ الإحسان المصطلحَ عليه عند العلماء بالتصوف مثل اصطلاحهم لبقية العلوم، وذلك بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**)، فالتصوف بهذا المعنى هو تحقيقٌ لمقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان، إذ لا تصوف إلا بفقه، كما لا فقه إلا باعتقاد وإيمان، فلا سبيل لمعرفة الأحكام المتعلقة بنا إلا به، كما لا فقه أيضاً إلا بتصوف، إذ لا عبرة بفقهٍ لا يصحبه صِدقُ التوجه، قال الشيخ زرُّوق المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "التصوف علم قُصِدَ لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان باليقين، كالطب لحفظ الأبدان"، فيؤخذ من هذا وجوب معرفة هذا العلم، ولهذا لم يزل أئمة الإسلام

---

1) رواه مسلم.

وهداة الأنام قديماً وحديثاً يرفعون مناره، ويُجلون مقداره، ويعظمون أصحابه، فإنهم أولياء الله وخاصته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، ومن أثمن ما قيل في التصوف قول الإمام أبي الحسن الشاذلي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "التصوف تدريب النفس على العبودية، وردُّها لأحكام الربوبية"، وقول سيد الطائفتين الإمام الجنيد الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "التصوف استعمال كل خُلقٍ سنيّ، وترك كل خُلقٍ دنِي".

وما أجمل قول الإمام السيوطيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

يَا مَنْ تَقَاعَسَ عَنْ مَكَارِمِ خُلْقِـهِ ... لَيْسَ التَّفَاخُرُ بِالْعُلُومِ الظَّاهِـرَةْ
مَنْ لَـمْ يُهَـذِّبْ عِلْمَـهُ أَخْلَاقَـهُ ... لَـمْ يَنْتَفِـعْ بِعُلُومِـهِ فِي الْآخِـرَةْ

فعماد التصوف تصفية القلب، وتطهير النفس من الأخلاق الذميمة، وتعمير الظاهر والباطن، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم لنيل المراد وهو السعادة الأبدية.



﴿كيفيّـة تلقّي العلـوم﴾

اِعلم أيها المريد أنه لا يصح أخذ العلوم ابتداءً من الكتب إلا بعد أن يتلقى الطالب نصيباً منها عن العلماء، حتى تتكون له ملكة يستطيع أن يميّز بها المكلفُ الخطأَ من الصواب، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء:٧، وقد أجمع علمـاء التفسير وغيرهم أن أهل الذكر هم العلماء، ومما لا يشك به عاقل أن الله سبحانه وتعالى أمر باتباع أنبيائه فقال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب:٢١، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولكن أردنا التنبيه على وجوب اتباع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لنفهم ونقيم الدليل القطعي على وجوب اتباع العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء، ولا نفهم حقيقة من يدّعي اليوم أنه مُتَّبع لسنة المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو مُعْرض عن العلماء، وبذلك يكون مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع، ومن السنة ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)**[1]، وهو من الأحاديث المشهورة المتواترة، ويؤيده ما جاء عن ابن عباس قال: سمعت الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يقول: خرج علينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فقال: **(اَللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي)**، قَالَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ**

---

1) رواه الترمذي.

بَعْدِي، يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ)[1]، قَال القسطلَّاني في مقدمة "إرشاد الساري" بعد ذكر هذا الحديث: "ولا ريب أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحةً لهم من وظائف الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه، فدعا لهم بالرحمة وسمّاهم خلفاءَه"، وقد جاء عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْـمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)**[2]، فيفهم من هذه الأحاديث بيان عدالة العلماء عامة، ويفهم أيضاً أن أخذ العلم لا يكون إلا بالتلقي، وقد روى الإمام الخطيب البغدادي بإسناده عن موسى بن يسار - أحد المشهورين - أنه قال: "لا تأخذوا العلم إلا من أفواه العلماء"، وقال أيضاً: "الذي يأخذ العلم من الكتاب يقال له: الصُّحُفِيُّ، والذي يأخذ القرآن من المصحف يقال له: مُصْحَفِيٌّ"، ولهذا أوجب العلماء نقل كل شيء إلى قائله بالسند المتصل، والأصل في ذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَـا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّـهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَـا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـاءُ)**[3]، والمدار في فهم الحديث يتوقف على كلمة **(إِنَّمَـا)** المركبة من **(إِنَّ)** المؤكِّدَة وَ**(مَا)** النَّافية، قال علماءُ البلاغة: "إذا ما التقى التوكيد والنفي واجتمعا في كلمة واحدة مثل **(إِنَّمَـا)** فَإن ما بعدهما يفيد الحصر"، فيكون معنى الحديث: **لا**

1) رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث.

2) رواه البيهقي في المدخل.

3) رواه الطبراني.

يكون العلم إلا بالتعلم، وقال الشاطبي في كتابه "الموافقات": " كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى بطون الكتب وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال"، فنفهم أنه لا مجال للتعلم ابتداءً إلا بالتلقي عن الرجال ولو كانت العلوم في بطون الكتب، والمقصود من قوله: "بطون الكتب" أنها أصبحت أوعيتَها بعد أن كانت العلوم أوعيتُها صدور الرجال، وفي هذا أنشد أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير "النهر المَادّ" قائلاً:

يَظُـنُّ الْغَمْـرُ أَنَّ الْكُتْـبَ تَهْـدِي أَخَـا جَهْـلٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُـومِ
وَمَـا يَـدْرِي الْجَهُـولُ بِـأَنَّ فِيهَـا غَـوَامِضَ حَـيَّرَتْ عَقْـلَ الْفَهِـيمِ
إِذَا رُمْـتَ الْعُلُـومَ بِغَـيْرِ شَـيْخٍ ضَـلَلْتَ عَـنْ الصِـرَاطِ الْمُسْـتَقِيمِ
وَتَلْتَـبِسُ الْعُلُـومُ عَلَيْـكَ حَـتَّى تَصِـيرَ أَضَـلَّ مِـنْ تُومَـا الْحَكِـيمِ

ولا شك أن الكتب التي يطالعها الشخص لا تخلو من دسٍّ أو افتراءٍ على الدين، أو يفهم منها أشياء على خلاف ما هي عليه عند السلف والخلف على ما تناقلوه جيلاً عن جيل، فيؤدي إلى عبادة فاسدة، أو أن يقع في الحرام، أو في الكفر والضلال أعاذنا الله وإياكم، وأقلُّ ما يكون في الكتب أنها لا تخلو أيضاً من خطأ مطبعيٍّ، وعلى كل حال فاعلم أن ليس ذلك سبيل التعلم الذي نهجه السلف، إذ لا بد من تعلم أمور الدين من عارف ثقة يكون أخذ عن ثقة، وهكذا إلى النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عن اللوح المحفوظ عن رَبِّ العزّة سبحانه وتعالى، ولهذا أوجب العلماء نسبة كل شيء إلى قائله وذلك بالنقل المعتبر، عند أهل الفن والأثر، وهو المتفق على تسميته بالسند، وكل ذلك لما في السند من الفضل على غيره، فهذه الأقوال المنقولة إلينا بالتلقّي من أفواه العلماء نقلت بالسند كما نقل حديث رسول الله

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ؛ لأنه أصل من أصول الدين مصداقاً لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[1]، وبهذا تعلم أن كل منقول متوقف قبوله أو رده على السند والتلقي، ولولا التلقي لما كان السند، فإن صحَّ السندُ ثبت نقل الخبر، وإن لم يصح انتفى ثبوته، وبهذا الميزان يُحاكم كل ما يُنقل من قرآنٍ وحديثٍ وفقهٍ وتصوفٍ وغيره من العلوم، زيادة على الإذن والتلقين والبيعة، وكل ذلك مبالغٌ فيه عند السادة الصوفية، ولا يتحقق هذا عندهم إلا بالتّلقي، وهو صفة المحققين من أهل العلم، ومما هو معلوم عند كل أهل فن أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وعلم التصوف أولى من غيره في الصحبة والتلقي وذلك لدقة معانيه والتي لا يفهمها غالب الناس لغور معانيها ونفور الجهال منها، وما أجمل ما قاله سيدي أحمد زروق المالكي الشاذلي: "كثر المدعون في هذا الطريق لغربته، وبعدت عنه الأفهام لدقته، وكثر الإنكار على أهله للطافته، وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه"، وبهذا تعلم سر تلقي سيدنا ومولانا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ الوحي عن جبريل رغم أنه أفضل منه، وبهذا التلقي يكمن سرُّ الشريعة الإسلامية، فكيف يتجرأ غالب المنتسبين للعلم ولا سيما أدعياء التصوف ويقولون: إنه لا حاجة إلى التلقي بعد أن دونت العلوم في الكتب؟!.



1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي.

﴿فصل في مبادئ علم التّصوّف﴾

قال الامام أبو العباس أحمد بن محمد الـمقّرِي التِّلمساني المالكي[1]:

مَنْ رَامَ فَنّاً فَلْيُقَدِّمْ أَوَّلَا عِلْمـاً بِحَدِّهِ وَمَوْضُوعٍ تَلَا
وَوَاضِعٍ وَنِسْبَةٍ وَمَا اسْتُمِدّ مِنْهُ وَفَضْلِهِ وَحُكْمٍ يُعْتَمَدْ،
وَاسْمٍ وَمَا أَفَادَ وَالْمَسَائِلْ فَتِلْكَ عَشْـرٌ لِلْمُنَى وَسَائِلْ
وَبَعْضُهُمْ فِيهَا عَلَى الْبَعْضِ اقْتَصَـرْ وَمَنْ يَكُنْ يَـدْرِي جَمِيعَـهَا انتصر

*** أَوَّلاً: حـدُّ التَّصَـوُّفِ:**

قال سيد الطائفة الإمام الجنيد: "هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به"، وقال أيضاً: "الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح، ولا يخرج منه إلا كل مليح، ويطؤه البر والفاجر".

وقال الشيخ زروق: "قد حُدَّ التّصوّف ورُسِم وفُسّرَ بوجوه تبلغ نَحوَ الألفين، ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه والله أعلم".

ثم قال: "والاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دلَّ على بعد إدراك جملتها، ثم إن هو رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فُهم منه، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله واعتبار كل واحد على حسب مثاله، عملاً وحالاً وذوقاً، وغير ذلك، والاختلاف في التصوف من ذلك، ومن أجل ذلك ألحق الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بغالب أهل حليته عند

---

1) هذه الأبيات للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري المتوفى سنة 1041 هـ، وقد اقتبس منها الإمام أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري المتوفى سنة 1206 هـ أبياته المعروفة.

تحلية كل شخص قولاً من أقوالهم يناسب حاله قائلاً: وقيل إن التصوف كذا، فاقتضى أن كل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف، وأن تصوف كل أحد صدق توجهه، فافهم" اِنتهى.

وقال أيضاً قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه، ولا يصح مشروط بدون شرطه ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ الزّمر:٧، فلزم تحقيق الإيمان ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزّمر:٧، فلزم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تُعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال لها أي للأشباح إلا بها أي الأرواح.

ومنه قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق".

قلت: وبغض النظر من عدم صحة نسبة هذا القول للإمام مالك من ناحية اتصال السند إلا أن معناه مما لا شك فيه صحيح.

*** ثانياً: موضوعُ التصوف:**

وأما موضوعه: فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها، إما بالبرهان أو بالشهود والعيان، فالأول للطالبين، والثاني للواصلين.

وقيل: موضوع النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه.

❋ ثالثاً: واضعُ علمِ التصوف:

وأما واضع هذا العلم فهو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، علمه الله إياه بالوحي والإلهام، فخص بها بعضاً من أصحابه دون بعض.

ولكن مما لا شك فيه أن التصوف كان موجوداً عند أصحابه ولكن الذين تميزوا به من الصحابة: السيدة فاطمة، وسيدنا علي، وسيدنا الحسن، عليهم السلام، وسيدنا أبا ذر، والسيدة أم سلمة، وأهل الصفّة، وسيدنا حُجر بن عدي، وغيرهم.

❋ أما واضعه على معنى التحقيق وأول من تكلم فيه وأظهره بهذه الطريقة المتعارف عليها فهو سيدنا علي بن أبي طالب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وأفعاله وأقواله قد جُمعت في مصنفات كثيرة منها "نهج البلاغة" وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضى بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، ودستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ) تأليف قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي، وأخذ عنه ابناه سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وهذا نجده مبسوطاً في أدعيتهما وتوسلاتهما عليهما السلام، وقد ورِث هذا العلم في زمن التابعين سيدنا زين العابدين علي بن الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وله الصحيفة السجادية التي حوت غالب أدعيته، وأويس القرني وحادثته مع سيدنا عمر وسيدنا علي مشهورة لا تخفى، والحسن البصري، وهكذا، إلى أن وصل إلى أبي القاسم محمد بن الجنيد الزجاج البغدادي، وكلامه وحقائقه مدونة في الكتب، ثم انتشر التصوف في أصحابه ولا ينقطع حتى ينقطع الدين.

*** رابعاً: اشتقاقُ اسم التصوف:**

وأما اسمه: فهو علم التصوف، واختُلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة، سيأتي تفصيلها وبيانها لاحقاً في فصل مستقل.

*** خامساً: استمدادُ التصوف:**

وأما استمداده: فهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين، بسبب كثرة العلم والعمل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ المزّمّل:١-٢، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزّمّل:٨، وقال عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ المدّثّر:١-٧، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران:١٣٤، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة:٤٤.

ولحديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَـانِ، وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّـهِ وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَـاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)**[1] وجاء عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **(إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**

---

1) رواه مسلم.

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)[1]، وكنداء سيدنا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على سارية وتنبيهه على الجبل وهو في المدينة المنورة وسارية في بلد الفرس، وكذلك ما نقله الأربلي في كتابه "كشف الغمة في معرفة الأئمة" بإسناده عن أبي حبيب النباجي قال: "رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في المنام وقد وافى النباج ونزل في المسجد الذي ينزله الحجاج في كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه، فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني فعددته فكان ثماني عشرة تمرة، فتأولت أني أعيش بعدد كل تمرة سنة، فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من المدينة ونزوله في ذلك المسجد ورأيت الناس يسعون اليه، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وتحته حصير مثل ما كان تحته، وبين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فردّ علي السلام، واستدناني فناولني قبضة من ذلك التمر فعددته فإذا هو بعدد ما ناولني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فقلت: زدني يا ابن رسول الله فقال: لو زادك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لزدناك"، وغيرها كثير، وهي مبسوطة في كتب القوم، ككتاب "الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية" للإمام المناوي، وكذلك كتاب "الطبقات الكبرى" للإمام الشعراني، والله تعالى أعلم.

---

1) رواه أحمد.

*** سادساً: حكمُ التصوفِ:**

وأما حكم الشارع فيه أنه فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجوباً قبل النبوة وبعدها ومن عَصمه الله من غير الأنبياء جوازاً، إلا أنه يجب تعلمه لأنه المقام الثالث بعد الإسلام والإيمان، وهو المعبر عنه بالإحسان.

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي: "من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر، وحيث كان فرضَ عين على كل مكلف يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عرف بالتربية واشتُهر الدواء على يده، وإن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد"، وما أحسن قولَ القائل:

أُخَاطِرُ فِي مَحَبَّتِكُمْ بِرُوحِي وَأَرْكَبُ بَحْرَكُمْ إِمَّا وَإِمَّا
وَأَسْلُكُ كُلَّ فَجٍّ فِي هَوَاكُمْ وَأَشْرَبُ كَأْسَكُمْ لَوْ كَانَ سُمَّا
وَلَا أُصْغِي إِلَى مَنْ قَدْ نَهَانِي وَلِي أُذْنٌ عَنِ الْعُذَّالِ صَمَّا
أُخَاطِرُ بِالْخَوَاطِرِ فِي هَوَاكُمْ وَأَتْرُكُ فِي رِضَاكُمْ أَباً وَأُمّاً

*** سابعاً: مسائل تصور التصوف:**

وأما تصور مسائله فهي معرفة اصطلاحاته والكلمات التي تتداول بين القوم: كالإخلاص، والصدق، والتوكل، والزهد، والورع، والرضى، والتسليم، والمحبة، والفناء، والبقاء، والقبض والبسط، والجلال والجمال، والتنزيه، والصفات، والذات، والوحدانية والقدرة، والحكمة، ومعرفة حقيقة الحال، والمقام، والوارد، والخلوة، وغير ذلك مما اصطلحوا عليه.

واختصر كل ذلك ابن عجيبة في كتابه "معراج التشوف إلى حقائق التصوف" فليطالعه من أراده ليستعين به على فهم كلام القوم.

والتحقيق أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فيجب على كل من أراد الولوج في طريق القوم أن يتصور كل هذه المعاني التي ذكرناها وغيرها من مسائل هذا الفن، قبل الشروع في الخوض فيه علماً وعملاً، والله تعالى أعلم .

* **ثامناً**: **فضلُ التصوف**:

وأما فضيلته فقد تقدم أن موضوعه الذات العلية، فالعلم الذي يتعلق بها أفضل العلوم على الإطلاق، إذ هو دال بأوله على خشية الله تعالى، وبوسطه على معاملته، وبآخره على معرفته والانقطاع إليه.

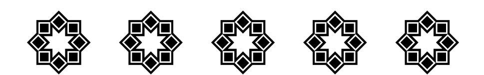
ولذلك قال الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد: "لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه".

* **تاسعاً**: **نسبةُ التصوف من العلوم**:

وأما نسبته من العلوم فهو كلي لها وشرطٌ فيها، إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى، فالإخلاص شرط في الجميع، وهذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب، وأما باعتبار الوجود الخارجي، فالعلوم توجد في الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة ولا تكمل إلا به، وقال الشيخ زروق: "نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ لجبريل: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)** الحديث، إذ لا معنى له سوى ذلك، لأن مداره على مراقبة النفس ومساءلتها بصفة دائمة".

❊ عاشراً: فائدةُ التّصوّف:

وأما فائدته فتهذيب النفس، وتصفية القلوب، ومعرفة علام الغيوب، والترفع عن سفاسف الأمور والنظر إلى معاليها، طلباً لمرضاة خالقه لكي يحظى برضاه، وينعم في الآخرة بكل ما أعده له مولاه، والله ولي التوفيق.



﴿فصل في تعريف التّصوّف﴾

اِعلم أيها المريد أنه قد كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف وتنوعت، ولكنّ الناظر المدقق في هذه الاشتقاقات يجدها مترابطة فيما بينها وإن اختلفت في ظاهرها، فهي مكملة لبعضها البعض في باطنها:

ـ **أولاً**: أنه مشتق من (الصوف) قال الإمام ابن عجيبة في توضيح هذا الاشتقاق "لأن جُلّ لباس أهله الصوف، آثروه تقللاً من الدنيا وزهداً فيها، اختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام، وهذا الاشتقاق أنسب إليه لغةً وأظهر نسبةً، يقال: تصوف إذا لبس الصوف. كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، والنسبة إليه صوفي" اِنتهى بتصرف.

ـ **ثانياً**: أن الصوفية مُشتقة من (قوم صوفة): وهم قوم انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة في الجاهلية، لأنهم يرون أنفسهم كصوفة ملقاة في الأرض والرياح تحركها فلا يشاهدون الأفعال من أنفسهم وإنما يشاهدونها من ربهم.

ـ **ثالثاً**: أنه مشتق من (الصُّفة) وقد كان أهل الصفة جماعة من فقراء المهاجرين والأنصار، لم يكن لهم أهل ولا مال، فَبُنِيَتْ لهم صُفَّةٌ في مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ انقطعوا فيها إلى الله، وعكفوا على العبادة ورياضة النفس، والتجرد عن أغراض الدنيا، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى مخاطباً الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قال المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ الكهف:٢٨.

ـ **رابعاً**: أنه مشتق من (الصفاء) لأن مداره على التصفية فهو يصفي القلوب،

قال الإمام الغزالي في إحيائه، التصوف هو: "تَجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله، وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح".

قال ابن الحاج في شرحه على ميارة "التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة: كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل، وبه يُتوصل إلى قطع عقبات النفس والتنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله سبحانه وتعالى، وهو المختار عند أهل هذا الفن وعلى رأسهم الإمام أبو العباس المرسي كما نقله ابن عطاء الله السكندري في كتابه "لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن الشاذلي"" اِنتهى بتصرف.

قال أبو الفتح البستي رَحِمَهُاللهُ:

تَنَـازَعَ النَّـاسُ فِي الصُّـوفِيِّ وَاخْتَلَفُـوا ... جَهْلاً وَظَنُّوهُ مُشْتَقّاً مِنَ الصُّـوفِ
وَلَسْتُ أَنْحَـلُ هَـذَا الاِسْـمَ غَـيْرَ فَـتًى ... صَافَى فَصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّـوفِي

وقال ابن الحاج المالكي في التصوف:

لَيْسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ ... وَلَا بُكَاؤُكَ إِنْ غَنَّى الْـمُغَنُّونَا
وَلَا صِيَاحٌ وَلَا رَقْصٌ وَلَا طَرَبٌ ... وَلَا اخْتِبَاطٌ كَأَنْ قَدْ صِرْتَ مَجْنُونَا
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُو بِلَا كَدَرٍ ... وَتَتْبَعَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَا
وَأَنْ تُرَى خَاشِعاً لِلَّـهِ مُكْتَئِباً ... عَلَى ذُنُوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْزُونَا

ـ **قلت**: وكل ما سبق يصح أن يطلق على الصوفية، أما الصوفي فهو من لبس الصوف، لأنه شعارهم ودثارهم، وهو ما عليه شاذلية المغرب وتونس والجزائر حتى اليوم، وأول من تميز به من الصحابة سيدنا علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ومن التابعين

أويس القرني والحسن البصري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن الثاني اشتهر وانتشر، وأما نسبته لبني صوفة فهو صحيحٌ أيضاً لأن فيه التسليم المطلق للخالق واسقاط التدبير للقادر، لأن الصوفة يحركها الهواء كيفما شاء ولا مشيئة لها وبهذا المعنى هو حال الصوفية، وأما نسبته لأهل الصُّفَّة فهو أيضاً صحيح لأنهم أناس تجردوا لذكر الله والطاعة فقط ومدحهم القرآن وأحبهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وكان يبالغ في مودتهم ومجالستهم والتحريض على حبهم، ومن قال إنه من الصفاء فهو صحيح لأنه يُصفي القلب من كدرات النفس: كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء، لأن ما استقر في القلب لا بد وأن يظهر على الجوارح، وهو المطلوب في علم التصوف بأن يكون هناك تطابق بين الظاهر والباطن.

وبكل هذه المعاني السالفة الذكر يتحقق معنى التصوف وبه نقول وعليه نسير وعنه ندافع.

ومن أجمل ما قيل قول سيد الطائفة الإمام الجنيد: "الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا المليح". وقال أيضا: "الصوفي كالأرض يطأها البر والفاجر وكالسماء يظل كل شيء وكالمطر يسقي كل شيء" اِهـ.



﴿ما لا يستغني عنه المُريد﴾

﴿فصل في صحبة الشّيخ والأخ الصّالح﴾

اعلم أيها المريد أن أصل الطريق والوصول فيها إلى الله متوقف عند أهل الطريق على صحبة الشيخ العالم الكامل المربي، الذي تَخَلصَ من رعونة نفسه، واكتسب من العلوم ما يكتفي به، وعَرفَ مسالك الحياة مما تحصلَ عليه من خبرة وتجارب تلقاها وتيقنها من أسياده الذين سبقوه وخَبِروهُ واختَبروهُ فأذنوا له بالتلقين، وشهدوا له بالعلم والمعرفة بعد أن سَبروا آراءه، وتمعّنوا أفعاله وأقواله، وشاهدوا بأم أعينهم أحواله، وتدافعوه بينهم إلى أن نضج واستوى، وذلك منهج الكُمّل من أهل الله، وما كان الأولياء أولياء والعارفون عارفين إلا بعد أن لازموا العلماء الأخيار الأجلاء، الذين أوصلوهم إلى ما هم عليه، وذلك حقيقة الدين إذ لو كان أحد مستغنياً عن ذلك لكان سيدَ الأولين والأخرين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع أن المولى سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يغنيه، إلا أن حكمته اقتضت وجود تلك الأسوة، لكي لا يتجرأ عليها مدّعٍ، ولا يستغني عنها طالبٌ صادقٌ يريد الوصول إلى مرضاة مولاه، وما ذلك إلا بالعلم والقول والعمل والإكثار من الذكر في كل الأوقات، إما بالقول وإما بالتّفكر، وكل ذلك ليس بكائن على الوجه المرضي إلا بصحبة الشيخ، لما ثبت أن سيدنا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وأجابه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**)[1]، ولقول المولى

---

1) رواه مسلم.

سبحانه وتعالى للسيدة مريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾ مريم:٢٥-٢٦، والمولى سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يسقط عليها رطباً جنياً من غير سبب ولا عمل، فالشيخ بهذا المعنى هو سبب للوصول، مثله مثل الطبيب الحاذق بالنسبة للمريض، لأن المريض إذا تُرك تزداد علله كل يوم والطبيب يداوي تلك العلل حسب حاجة المريض، كذلك صحبة الشيخ المربي يوجه ويصوب ويصحح ما عليه المريد من تغير الأحوال مع تغير الأزمان، فإن لم يكن نفعٌ من الطبيب للمريض فلا حاجة للطبيب، وكذلك الشيخ المربي فإن لم يكن يؤثر في تربية المريد فلا حاجة له.

وما أجمل قول أبي منصور الثعالبي:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّـهَ أَوْحَى لِـمَرْيَمَ وَهُزِّي إِلَيْكِ النَّخْلَ تَسَّاقَطِ الرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا جَنَتْهُ وَلَكِـنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ

ولا يُعترض علينا بقول الأدعياء أن الشيخ غير موجود اليوم، لأن ذلك يتنافى كلياً مع الدين الحق، وإن كان قد قل وجود مثل هذا النوع من الشيوخ، والسبب فيه رقة الدين بوجه عام كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإيجاد الشيخ هو من شأن المريد في البحث عنه والوصول إليه، وهو موجود وكل زمن يقاس بزمنه، فلا يقاس اليوم على الأمس ولا القادم على الحاضر، ولكل زمن مُسلكٌ يتناسب مع الزمن الذي هو فيه.

وكذلك صحبة الأخ الصالح الذي تأنس وتأوي إليه، ويعضدك وتركنُ عليه في شأنك كله وهو كذلك بالنسبة إليك، وبهذا يكمل لك الاستغناء عن الآخرين الذين يحبطونك ويعوقونك عن العزائم، ويزينون لك الركون إلى الدنيا وأهلها، قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾

الزخرف:٦٧، وعن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها قالت سمعت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (**اَلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**)[1]، وَعَن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**اَلرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)[2]، فصحبة الأخ الصالح مثل الدواء النّاجع كلما احتاج إليه استعمله، وإن لم يكن الدواء ناجعاً ومؤثراً فالاستغناء عنه لازم، لأن ضرره متحتم.

قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ[3]:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

وما أجمل قول طرفة بن العبد:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وهذا كله محبّبٌ مرغوب فيه بل واجبٌ مطلوب عند أهل الطريق، لأن الله أجرى العادة اختياراً منه أن الطبع من الطبع يسرق، فارغب إلى من هو أعلى مكانة منك في الدين والعلم والعمل حتى توافقه في طبعه وطباعه، وارفع من هو دونك حتى يوافقك فيما عندك، وهذه سنة الحياة عند هؤلاء القوم، ودونها لا تصلح دعوى طريق ولا ينفع شيخٌ ولا صديق، قال الشيخ محمد الحراق:

---

1) رواه البخاري.

2) رواه أبو داود والترمذي.

3) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم (من كلام أمير المؤمنين علي بن أبى طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ) تأليف قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي.

وَدَاوِمْ عَلَى ذِكْـــرِ الْغَــنِيِّ حَقِيقَـــةً تَكُنْ ذَا غِنًى فَالطَّبْعُ لِلطَّبْعِ يَسْـــرِقُ

وقال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يَصْـحَبُ شَـيْخاً عَــارِفَ الْمَسَـالِكْ يَقِيـــهِ فِي طَرِيقِـــهِ الْمَهَـــالِكْ

يُذْكِـــــرُهُ اللَّــــــهَ إِذَا رَآهُ وَيُوصِـــلُ الْعَبْـــدَ إِلَى مَـــوْلَاهُ



﴿فصل في الوفـاء والبـرور﴾

ينبغي على المريد أن يكون وفياً لنقل ما تعلم من العلوم الشرعية إلى غيره من طلبة العلم والعوام، وأن يكون مطيعاً لمن سهر على تعليمه ومتأدباً في حضرته، ساتراً له فيما يظنه أنه عيباً من عيوبه، باراً له في غيبته مثل بروره لوالديه في النسب بل أكثر من ذلك، لأن الذي علمه أحكام الشرع هو الذي علمه أحكام البرور بالوالدين من النسب، ولأن مشايخَ الإنسان آباؤه في الدين ووصلة بينه وبين رب العالمين، فهو مأمور بذكر مناقبهم والذّب عنهم، والتجاوز عن زلاتهم وستر عوراتهم وإقالة عثراتهم بصفة عامة، والكرماء الأجلاء منهم بصفة خاصة، مع كثرة الدعاء لهم في السر والعلن، ومن أهم الوفاء والبرور الإكثار من ذكر الذين علموك وأرشدوك وأخذوا بيدك إلى الله، وكذلك والديك وأصحاب الحقوق والفضل عليك، لأن تعظيمك لهم ووفاءك لما هم عليه من الحق هو في الحقيقة عائدٌ عليك، وذلك لحديث السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: (**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَـاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْـحُدُودَ**)[1] هذا في العموم فما بالك بمن سهر على تربيتك وتعليمك اِهـ.

وأن يكون المريد صابراً ومحتسباً غير ضجر ولا متذمر من معلمه إذا اشتد عليه لأن الصبر على العلم مآله الرفعة والرضا لحديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُجِلَّ**

1) رواه أحمد.

كَبِيرَنَا، وَيَفِ لِعَالِمِنَا)[1]، ولأن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين، وقد جاء مدحهم متواتراً كتاباً وسنةً، وكذلك التحريض على اتّباعهم والتحذير من إذايتهم، وقد جاء الوعيد في ذلك منبهاً ومحذراً من آذاهم بالانتقام لما جاء عن أبي هريرة في الحديث القدسي وفيه قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إن الله تعالى قال: **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْـحَـرْبِ)**[2]، وهم الذين يبقى ذكرهم بعد موتهم، قال الإمام علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

مَـا الْفَخْـرُ إِلَّا لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ وَإِنَّهُـمْ ... عَلَى الْهُـدَى لِمَـنِ اسْتَهْـدَى أَدِلَّاءُ
وَقَـدْرُ كُلِّ امْـرِئٍ مَـا كَانَ يُحْسِـنُهُ ... وَالْجَـاهِلُونَ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ أَعْـدَاءُ
فَفُـزْ بِعِلْـمٍ تَعِـشْ حَيّـاً بِـهِ أَبَـدَا ... اَلنَّـاسُ مَـوْتَى وَأَهْـلُ الْعِلْـمِ أَحْيَـاءُ

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: **(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[3] وعن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها قالت: **(إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَتَتَبَّعُ بِهَا صَدَائِقَ خَدِيجَةَ فَيُهْدِيهَا لَهُنَّ)**[4]

وقال الإمام السيوطي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

إِذَا مَـاتَ ابْـنُ آدَمَ لَـيْسَ يَجْـرِي ... عَلَيْـهِ مِـنْ خِصَـالٍ غَيْـرُ عَشْـرِ

---

1) رواه البزار.

2) رواه البخاري.

3) رواه مسلم.

4) رواه الترمذي.

عُلُـــومٌ بَثَّهَـــا وَدُعَاءُ نَجْـــلٍ وَغَـرْسُ النَّخْـلِ وَالصَّـدَقَاتُ تَجْـرِي
ورَاثَـــةُ مُصْـــحَفٍ وَرِبَـــاطُ ثَغْـــرٍ وَحَفْــرُ الْبِـــئْرِ أَوْ إِجْـــرَاءُ نَهْـــرِ
وَبَيْـــتٌ لِلْغَرِيـــبِ بَنَـــاهُ يَـــأْوِي إِلَيْـــهِ أَوْ بِنَـــاءُ مَحَـــلِّ ذِكْـــرِ
وَتَعْلِـــيمٌ لِقُـــرْآنٍ كَـــرِيمٍ فَخُـــذْهَا مِـــنْ أَحَادِيـــثَ بِحَصْـــرِ

وبناءً على ما سبق يبقى البرور والوفاء متوارثاً وإن كان قليلاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو واجب وجوباً عينياً لحديث السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها السابق وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود:٤٠، وإذا ما رأيت منه ما يخالف الشّرع ظاهراً فدعه وتمسك بالشرع لأن به النجاة، مع وجوب مراجعة المريد لشيخه ما دام حياً، وفي حال مماته لا بد للمريد إن كان كفؤاً أن يبين ذلك الخطأ ويوضحه بطريقة النقد العلميّ، قال الإمام الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته "حرز الأماني ووجه التهاني":

وَإِنْ كَانَ خَــرْقٌ فَادَّرِكْــهُ بِفَضْــلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَـادَ مِقْـوَلَا
وَقُــلْ صَــادِقاً لَــوْلَا الْوِئَــامُ وَرُوحُــهُ لَطَاحَ الْأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْـفِ وَالْقِـلَا

وعدم الخروج في كل ذلك عن الأدب، مع الاستغفار والترحم على الشيخ وحفظ وده، ولا يجعل ذلك مدخلاً للطعن والتجريح فيه، مع العلم أن ذلك كله لا يجعل من المريد خارجاً عن الوفاء والبرور، بل هو عين الوفاء والبرور. اِهـ.



﴿فصل في التّوبة النّصوح﴾

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ التّحريم:٨.

اِعلم أيها المريد أن الأصل في التوبة اجتناب كل معصية، ظاهرةً كانت أو باطنة، حسيةً كانت أو معنوية، والامتثال لكل أمرٍ ظاهراً كان أو باطناً، حسياً كان أو معنوياً، وهي واجبة وجوب الفرائض على الأعيان، من كل ذنب كبيراً كان أو صغيراً، كان حقاً لله تعالى أو لآدمي أو لهما، معلوماً كان أو مجهولاً.

فتجب التوبة من الذنب المعلوم تفصيلاً، ومن المجهول إجمالاً، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزّمر:٥٣.

وهي واجبة على الفور، فمن أخرها فتجب التوبة عن تأخيرها، فعن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**)[1].

ومن شروط التوبة: الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم عليه، وأن لا يعودُ إليه، وعدم الإصرار عليه، ورد المظالم، وتمكين نفسه من المجني عليه أو من أوليائه وعلى وفق جنايته، هذا إن كان حقّاً لأدميٍّ، أمّا إن كان لله فيجب عليه

1) رواه أحمد.

أن يصحح ما هو عليه مثل قضاء الصلوات إن كان تاركاً لها، والصوم إن كان تاركاً له، وإخراج الزكاة إن كان تاركاً لها، مع الشروط السابقة الذكر، فإن تاب من الذنب وفق الشروط السابقة ولم يُبرئ ذمته فالتوبة ناقصة إن كانت في حق الآدمي، أو في حق الله فيجب عليه الإبراء، وإن مات على ذلك فأمره مفوض لله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النّساء:٤٨.

قال الإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي المصري في منظومته "جوهرة التوحيد":

وَمَـنْ يَمُـتْ وَلَـمْ يَتُـبْ مِـنْ ذنْبِـهِ فَـأَمْـرُهُ مُفَـوَّضٌ لِـرَبِّـهِ

وإن عاد إلى الذنب مرّة أخرى فتجب عليه التوبة بنفس الشروط السالفةِ الذكر، فعن سيدنا أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: **(مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً)**[1]، والاستغفار على مراتب، إمّا من ذنب محقق الوقوع والعين من كبيرة مثل الغيبة والنميمة وشهادة الزور وشرب الخمر والسرقة وما سواها من الكبائر أو الصغائر، وإما محقق الوقوع ومجهول العين كأن تيقن أنه فعل إثماً ولكن نسي عينه، فيلزم منه الاستغفار أيضاً، وإما لطلب رفع الدرجة عند المولى سبحانه وتعالى وهو فعل الحريصين، وإما عن شكر سابق وهو استغفار الأنبياء ومن سار على نهجهم من الأولياء، وهاتان المرتبتان الآخيرتان بينهما مراتب تقصُـرُ عنها همم العوام، ومما يجب أن يُعلمَ أن التوبة والاستغفار لا يلزمان عن ذنب، وذلك لحديث السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها قالت كان رسول الله

---

1) رواه أبو داود.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه قالت السيدة عائشة يا رسول الله أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: **(يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)**[1]، قال الولي الصالح أبو مدين الغوث في قصيدته: "ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا":

وحُطّ رَأْسَـكَ وَاسْتَغْفِــرْ بِـلَا سَـبَبٍ وَقِـفْ عَلَى قَـدَمِ الْإِنْصَـافِ مُعْتَـذِرَا

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته: "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

وَتَوْبَـــةٌ مِـــنْ كُلِّ ذَنْـــبٍ يُجْتَـــرَمْ تَجِـــبُ فَـــوْراً مُطْلَقـــاً وَهْيَ النَّـــدَمْ
بِشَـــرْطِ الاِقْـــلَاعِ وَنَـــفْيِ الاِصْرَارْ وَلْيَتَـــلَافَ مُمْكِنًـــا ذَا اسْتِغْفَـــارْ
وَحَاصِـلُ التَّقْـوَى اجْتِنَـابٌ وَامْتِثَـالْ فِي ظَاهِـــرٍ وَبَاطِـــنٍ بِـــذَا تُنَـــالْ
فَجَـــاءَتِ الْأَقْسَـــامُ حَقًّـــا أَرْبَعَـــهْ وَهِيَ لِلسَّـــالِكِ سُبْـــلُ الْمَنْفَعَـــهْ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

1) رواه مسلم.

﴿فصل في المراقبة والمحاسبة﴾

ينبغي للمريد أن يُفرِغَ قلبه ساعة لمسائلة النفس، ويقول لها ما لي بضاعة إلا العمر فإن فَنِيَ فَنىَ رأس المال ووقع اليأس من التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، فإياكي إياكي أن تُضيعيه، ثم يستأنف لها وصية أُخرى لاسيما في أعضائه السبعة اللسان والعين والأذن والبطن والفرج واليد والرجل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء:٣٦، ولحديث شـدّاد بن أوس عن رسول اللّـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (**اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَـا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّـهِ**)[1]، فإذا أوصى نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا مراقبتها عند تطبيق ما أوصاها لأنها إن تُرِكت طغت وفسدت، ويجتهد أن يكون ذلك في أول النهار وآخره لأن في أول النهار يكون بدأ العمل فيحذرها من مغبة الخسران، وفي آخر النهار يكون الانتهاء من العمل مع السكون والراحة فيتفقدها على ما أعطت وربحت وقصَرت وخسرت، كالتاجر في الدنيا يختبر رأس المال فإن وجد فضلاً استوفاه وحمد وشكر، وإن وجد خسراناً تداركه بإصلاح الخلل في المستقبل، كذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه كثرة المعاصي، فيحاسبها على الفرائض أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله عليها، ثم رغبها وحرضها على النوافل مطلقاً في ليله ونهاره، لما في الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: إن الله قال: (**مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا**

---

1) رواه الترمذي.

تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلِئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْـمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[1]، وإن ارتكب معصيةً عاتبها وساءلها وتاب منها على الفور كي لا تأنس بها ويصعب عليه بعد ذلك فطامها، قال الإمام البوصيري المصري[2]:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَـبَّ عَلى ... حُـبِّ الرَّضَـاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ

ويزن كل حركاته وسكناته بالقسطاس المستقيم وهو الشرع الكريم، وذلك بأن يجعل على قلبه الذي هو أمير جسده حاجباً فيما يريد فعله أو تركه، فما أمره الشرع بفعله فعله وما أمره بتركه تركه وما كان من المشتبهات يتوقف فيه، لأن ذلك عين التقوى لحديث النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: **(اَلْـحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْـحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَـا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّـهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ**

1) رواه البخاري.

2) في البردة.

صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]، وما سُمِّيَ القلب قلباً إلا من كثرة تقلبه وصدق من قال:

مَـا سُـمِّيَ الْقَلْـبُ إِلَّا مِـنْ تَقَلُّبِـهِ   فَاحْذَرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيـلِ

وهو كالأمير بالنسبة لبقية الجسد، وإنما يزن الخاطر بالشرع لأن الأحكام لا تعرف إلا منه، وحينها يوصف بالاستقامة.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يُحَـاسِبُ النَّفْـسَ عَلَى الْأَنْفَـاسِ   وَيَـزِنُ الْـخَـاطِـرَ بِالْقِسْطَـاسِ
وَيَحْفَـظُ الْمَفْـرُوضَ رَأْسَ الْمَـالِ   وَالنَّفْـلَ رِبْحَـهُ بِـهِ يُـوَالِي



1) رواه البخاري ومسلم.

﴿فصل في صدق المعاملة﴾

اِعلم أيها المريد السالك أن قوام الحياة مبني على صدق المعاملات لأن بها تسعد المجتمعات وتعم الطمأنينة ويكثر الخير فيبارك الله بالعبادِ والبلاد، وعليه يجب أن يكون المريد عمله خالصاً لله سبحانه وتعالى من غير رياء ولا سمعة، وحقيقته أن يتساوى سره مع علانيته عند فعل الطاعة وترك المعصية، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة:٥، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البيّنة:٥، ويدخل في صدق المعاملة إخلاص العبد فيما كان بينه وبين الله من عبادات كالصلاة والصوم، وما بين العبد وأخيه في المعاملات وصدق النصح وعدم الغش.

ومن الرياء بين العبد وربه أن يكثر من النوافل والطاعات بين الناس وينشط غاية النشاط وإذا اختلى بنفسه لا يفعل من ذلك شيئاً، وهذا هو عين الرياء، وأمّا ما كان من قبيل المعاملات بينه وبين الناس فيظهر الإكرام والإنفاق لكي يمدحه الناس على فعله، وكل هذه الأعمال هي من الرياء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ البقرة:٢٦٤، وفي الحديث عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: (**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ**) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: (**اَلرِّيَاءُ، إِنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اِذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**)[1]، وغير ذلك من

---

1) رواه أحمد.

الصفات المذمومة لحديث سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (**إِنَّمَا الْأَعْمَـالُ بِالنِّيَّـةِ، وَإِنَّمَـا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَـا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**)[1].

وعلى المرء أن يتعاطى أسباب الرزق والجد والاجتهاد في تحصيل منافعه الدنيوية، وأن يكون في كل ذلك متوكلاً على الله قانعاً بما قدره الله له، مسلماً لقضائه في كل أحواله إن أعطاه وإن منعه وذلك لحديث سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّـهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَـا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً**)[2]، ولأن القناعة من أغنى غنى النفس.

ومن صدق المعاملة عدم شهادة الزّور لحديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**) قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ قَالَ: (**اَلْإِشْرَاكُ بِاللَّـهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَـا زَالَ يَقُولُـهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ**)[3] ولحديث أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ**

1) رواه البخاري ومسلم.

2) رواه أحمد والبيهقي والحاكم.

3) رواه البخاري مسلم.

عُمُرِهِ فِيمَـا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَـا فَعَـلَ، وَعَنْ مَـالِـهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَـا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَـا أَبْلَاهُ)[1].

ومن صدق المعاملة أن يحسن التعامل مع الناس في كل مرافق الحياة من بيع وشراء وعدم تطفيفٍ في الكيل والميزان، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ المطففين:١، وعدم غش في البضاعة أيًّا كان نوعها، لعموم حديث أبي هريرة أنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قال: **(وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)**[2].

ومن صدق المعاملة أن يحسن مجاورة الجار بالصبر على أذاه، ومقابلة السيئة بالحسنة وإسداء المعروف له، لحديث السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا وعن أبيها قالت: سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ يقول: **(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْـجَارِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيُوَرِّثَنَّـهُ)**[3].

ومن صدق المعاملة أن يعامل الوالدين بإحسان ويبرهما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ الإسراء: ٢٣.

ومن صدق المعاملة أن يحسن تربية الأولاد لاسيما قبل البلوغ والنصح لهم بعده، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: **(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)**[4].

---

1) رواه الترمذي.

2) رواه مسلم.

3) رواه مسلم.

4) رواه أبو داود.

ومن صدق المعاملة التلطف بالزوجة وحسن معاشرتها والصبر على أذاها قال تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ البقرة:٢٣١، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه:١٣٢، وعن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً)**[1]، وهو من علامة كرم الأخلاق وشهامتها لحديث الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَمَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ وَلَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَئِيمٌ)**[2].

ومن صدق المعاملة إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، وحب الفقراء والمساكين، ومودة الأغنياء المتواضعين، لحديث أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)**[3]، وكل ما سبق متوقف على صدق المعاملة، قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يَصْدُقُ شَاهِـدَهُ فِي الْـمُعَـامَلَـهْ ... يَـرْضَى بِمَـا قَـدَّرَهُ الْإِلَهُ لَهْ

وقال أيضاً:

كَغِيبَـةٍ نَمِيمَـةٍ زُورٍ كَـذِبْ ... لِسَانُـهُ أَحْـرَى بِتَـرْكِ مَـا جُلِـبْ

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

---

1) رواه البخاري.

2) رواه ابن عساكر في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين.

3) رواه البخاري ومسلم.

﴿فصل في العلم قبل القول والعمل﴾

ينبغي للمريد أن لا يُقْدِم على عمل في شأنه كله صغيراً كان أو كبيراً جليلاً أو حقيراً حتى يعلم حكمَ الله فيه، فيكون بذلك راضياً مرضياً مُسدداً مؤيداً مقروناً بالتوفيق في الغالب ومحفوفاً برعاية الله، مأجوراً في الدنيا على احتسابه وصبره، والآخرة خير وأبقى، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ الحشر: ٧، وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء:٧، وعن أبي الدرداء من حديث طويل وفيه: (**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**)[1] وعن ابن عباس من حديث طويل وفيه: (**أَوَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ**)[2] والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً، وقد أجمع أهل العلم قاطبةً أنه يَحرُم على المرء أن يقدم على عمل أو قول لا يعرف حكم الله فيه ولو أصاب، وقد نقل هذا الإجماع الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في "كتاب الرسالة"، وقد بوَّب له البخاري باب العلم قبل القول والعمل، وأهل الطريق أولى بذلك، ولا ينكر ذلك الاجماع إلا معاند جاحد لدود، وبناءً عليه يجب على التاجر أن يتعلم أحكام التجارة، والمتزوج أن يتعلم أحكام الزواج، والمجاهد أن يتعلم أحكام الجهاد، وهكذا في الباقي مثل المزارعة والمساقاة والمواريث وغيرها من الأحكام، أما ضروريات الدين من الإيمان والإسلام والصلاة والصوم والحج والزكاة والإحسان فالحد الأدنى فيه فرض عينٍ على

---

1) رواه ابن حبان.

2) رواه ابن ماجه.

العامة قبل العلماء، وهذا ما نعاني منه اليوم عند الأدعياء، لحديث سيدنا جبريل السابق وحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ**)[1]، ولحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَـهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّـهِ تَعَالَى**)[2]، والحديث متواتر من جحد معناه كفر.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

وَيُوقِفُ الْأُمُورَ حَتَّى يَعْلَمَا ... مَا اللَّـهُ فِيهِنَّ بِهِ قَدْ حَكَمَا



1) رواه البخاري ومسلم.

2) رواه البخاري ومسلم.

﴿فصل في تطهير القلب﴾

اِعلم أيها المريد أن إصلاح القلب بتقويم سلوكه وتطهيره من الغلِّ والحسد والعُجب والرياء والكبر والأدران المتعلقة به فرض عين على العباد، لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس:٩-١٠، ولأنّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ وهو المعصوم من الكبائر وصغائر الخِسَّة قبل النبوة وبعدها قد جاءه سيدنا جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: **(فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوّاً إِيمَاناً وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ)**[1].

ورحم الله الإمام الشاطبي حيث يقول في منظومته "حرز الأماني ووجه التهاني":

وَعِشْ سَالِماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَـةٍ فَغِـبْ ... تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْـقَى مُغَسَّـلَا

أي عش سالم الصدر نظيف القلب عن الغشِّ والغلَّ وسائر أمراض القلب المعنوية، والتي إذا استمرت تأتي بالأمراض الحسِّية مثل الغيبة والنميمة والبهتان وشهادة الزور والكذب والإفك، ولا تحضر مواطن الغيبة، ولا تشارك المغتابين إن أجبرت على حضور مجالسهم؛ لكي يجعلك المولى في حظار القدس في الجنة مع عباده الأبرار مُنقىً من الذنوب مطهَّراً من العيوب.

---

1) رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يُطَهِّـــرُ الْقَلْـــبَ مِـــنَ الرِّيَـــاءِ وَحَسَـــــدٍ عُجْـــــبٍ وَكُلِّ دَاءِ

وذلك كله لأن القلب مملكة البدن وما وقر فيه ظهر على بقيته قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف:١٧٩، ومتعلقات القلب من خيرٍ وشرٍ كثيرةٌ جداً، والعمل على إصلاح القلب ديدن السادة الصوفية كما مر بيانه في باب المراقبة والمحاسبة، ويصعب حصر الكلام فيه، وما ذكرناه هنا وفي فصل المراقبة والمحاسبة فيه كفاية لذوي الفضل والعناية فتدبره جيداً.



﴿فصل في الذّكر﴾

يجب على المريد أن يعلمَ أن الذكرَ هو أهم ما يَعتني به المؤمن بعد تحصيله لضروريات الدين، ومعنى الذكر أوسع مما يتصوره المرء منا فهو كُل الدين إذ كُل عمل فيه قربة إلى الله من فعل أو ترك يصح أن يقال عنه ذكر، ولكن المقصود هنا هو الذكر باللسان والقلب عند تحرك الأعضاء والأركان وعند سكونها وذلك في كل حالاتها، وبهذا المعنى هو قِبلة الذاكرين ولاسيما السادة الصوفية، وقد جاء فيه ما تواتر كتاباً وسنةً، وإذا تتبعت ذلك في كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاد العلماء العاملين في ترتيب الأوراد لا ولن تجد ما يساوي ذلك من كل العلوم، إذ هو بحر شاطئه معلوم، وغوره عن العقول معدوم، ونكتفي ببعض الآيات الجامعة والأحاديث الماتعة المانعة التي تفيد وتُذكر الذاكرين بمكانتهم عند رب العالمين وقربهم من سيد الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران:١٩١، وفي هذه الآية دلالة واضحة صريحة اللفظ والمعنى على أن الذكر يصح من الذاكر على أي حال من الأحوال التي يكون عليها، وهذا مما لا يصح في غالب العبادات الأخرى إلا بشروط مخصوصة ومعلومة، وبكيفية مدروسة مضبوطة، وفي الآية أيضاً ما يميز أهل الله عن غيرهم، وهو عمق النظر والتفكر في مخلوقات الله التي تؤدي إلى جعل اليقين حاضراً دائماً بأن خالق هذه المخلوقات لا يشبهها ولا بوجه من الوجوه لأنه خالقها، ولهذا جاءت الآية مصرحة بالتفكر في خلق السموات والأرض وهو أعلى درجات الذكر على الإطلاق، ومن أجل ذلك كان هذا النوع من الذاكرين أكثر الناس طمأنينة على الرغم من كثرة الابتلاءات الواقعة

عليهم، قـال تعـالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرّعد:٢٨، أما الذكر باللسان والأركان فقد جاء فيه قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الأحزاب:٤١-٤٢، وكذلك جاء في السنة الشريفة ما يدل على كثرة الذّكر وأن الذاكرين يمتازون عن غيرهم بكثير من الفضائل إذا ما واظبوا على ذلك من غير انقطاع ولا سَآمَةٍ ولا كسل ولا ملل، كما قال معاذ بن جبل: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَـالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ غَداً فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ، قَالَ: ذِكْرُ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ)**[1]، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّـهَ قَالَ: **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْـحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)**[2]، ومعنى هذه الأحاديث إنما هو المواظبة على الذكر وعدم الانقطاع عنه حتى يلقى الله، وقد سبق ذكر الحديث السابق في فصل الوفاء والبرور وفصل المراقبة

---

1) رواه أحمد، ومثله عن أبي الدرداء رواه ابن ماجه وقال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح الإسناد.

2) رواه البخاري.

والمحاسبة ولأهميته يُستدل به في كل مراتب العبادات والعابدين والذكر والذاكرين.

والخلاصة في هذا الفصل كله الإشارة إلى حديث سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: إن الله تعالى يقول: **(مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ)**[1] وهذا إشارة إلى مكانة الذكر والذاكر، أما الكلام على أنواع الذكر مثل لا إله إلا الله، والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فالكلام عنه يطول ويصعب حصره ومكانه في المطولات، وقد أُلفتْ فيه مؤلفاتٌ كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً، منها ما هو مطول ومتوسط ومختصر، ولكل مُؤلفٍ وعالم له فيها اجتهادٌ خاص، وكلها دالة على المراد، وقد نقلنا نُتفاً منها برأس القلم في كتابنا "الدرر النقية بتهذيب أوراد الطريقة الشاذلية" أو المسمى "ادخار الزاد من بعض الأوراد" فراجعه إن شئت فهو لطيف في بابه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

وَيُكْثِـرُ الذِّكْـرَ بِصَفْـوِ لُبِّـهِ ... وَالْعَـوْنُ فِي جَمِيـعِ ذَا بِرَبِّـهِ
يُجَاهِدُ النَّفْسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينْ ... وَيَتَحَلَّى بِمَقَامَاتِ الْيَقِينْ



1) رواه البخاري في تاريخه والبيهقي في شعب الإيمان.

﴿فصل في الحمد والشّكر﴾

اِعلم أيها المريد أن الإكثار من الحمد والشكر هما وسيلةُ اطمئنانِ النفس البشرية وسكون حالها.

والحمد لله: (لغةً): الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل الاختياري لما أنعم الله علينا.

و(شرعاً): إن الحمد ليس عبارةً عن قول القائل الحمد لله، بل هو فعلٌ يُشعِرُ بتعظيم الـمُنعِم بسبب كونه مُنعِماً، وذلك إما أن يكون من فعل القلب وهو اتصافه بصفات الكمال والجلال، أو بفعل اللسان وهو ذكر ما يدل عليه بتعظيمٍ وإجلال، أو فعل الجوارح وهو أن يضعها ويستعملها في مرضاة الله على حسب كل جارحة، قال الإمام الطبري في تفسير سورة الفاتحة: (الحمد لله): "ثناء أثنى به الله على نفسه وفي ضمنه أَمَرَ عباده أن يثنوا به عليه، فكأنه قال قولوا الحمد لله رب العالمين"، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: (**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ**)[1]، ومعناه ممحوق من الخير والبركة، وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: (**مَا أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: اَلْـحَمْدُ لِلَّـهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**)[2]، وكذلك كل عمل يُختتم على معنى الكمال لا بد أن يكون بالحمد قولاً وحقيقةً، وعلى هذا المعنى فالحمد يكون قولاً باللسان واعتقاداً بالجَنان وعملاً بالأركان قال تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

1) رواه النسائي وابن حبان والحديث حسن.

2) رواه ابن ماجه.

يونس:١٠، فالمرء يحمد الله على كل نعمة، ويحمده على درءِ كل نقمة، ويحمده على ما نزل به وما دُفِع عنه، وبهذا يكون الحمد شاملاً للسّراء والضراء، وعند تحقق حقيقة الحمد في المريد يكون قد وصل إلى باب الرجاء والأمل عند الله، ولا يسبقه إليه إلا من كان يقينه في حمد الله أقوى مما جاء به الأول وهكذا في الباقي قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ المطففين:٢٦.

أما **الشكر** فهو كما قال الغزالي في إحيائه: "علمٌ وحالٌ وعملٌ، فالعلم هو الأصل الذي يورث الحال، والحال يورث العمل، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان، ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر، فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه".

فالشكر **شكرٌ بالقلب** وهو اعتقاد أن النعم كلها من الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل:٥٣، **وشكرٌ باللسان** وهو الثناء على الله وإظهار نعمه على عباده قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى:١١، ومنه شكرك لمن كان سبباً في إظهار نعم الله عليك، كما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ)**[1]، **وشكرٌ يكون بسائر الجوارح** وهو أن يعمل بها العمل الصالح قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ:١٣، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم:٧، ونبه سبحانه الناس من ترك الشكر ونكران

1) رواه أحمد.

النعم وجحودها فقال في محكم تنزيله: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ النحل:٧١، قال ابن عطاء الله في حكمه العطائية: "من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها".

ـ **قلت**: وإن أردتَ أن يُفتح لك باب الشكر فعليك بعلاج قلبك بأن تذكره بنعم المولى سبحانه وتعالى عليك، وأن نعمه سابغة لا حصر لـها، قـال تعـالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ إبراهيم:٣٤، ومن أعظمها نعمة الإيمان، وتستحضر فائدة الشكر أن معه تدوم النعم، مع ما فيك من نقص وقلة قدرك، ومن أنتَ حتى أَهَّلَكَ الله لخدمةِ دينهِ مع أن ألوفاً مؤلفة قد طردت عن بابه، وأن تنظر إلى من هو دونك لتعرف ما مَنَّ الله به عليك من النعم، لما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: (**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْـخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ**)[1]، وأما في معالي الأمور وأسماها فلينظر المرء إلى من هو أعلى منه لا إلى من دونه لكي يدركه أو يساويه، قال أبو الفضل محمد بن الحسين المشهور بابن العميد:

مَنْ شَـاءَ عَيْشـاً هَنِيئـاً يَسْـتَفِيدُ بِـهِ ... فِي دِينِــهِ ثُــمَّ فِي دُنْيَــاهُ إِقْبَــالَا
فَلْيَنْظُــرَنْ إِلَى مَــنْ فَوْقَــهُ أَدَبًــا ... وَلْيَنْظُــرَنْ إِلَى مَــنْ دُونَــهُ مَــالَا

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَـلَا تَكُـنْ ... عَلَى حَالَــةٍ إِلَّا رَضِــيتَ بِــدُونِهَا

---

1) رواه مسلم.

وَمَنْ يُرِدِ الْأَعْلَى مِنَ الْعَـيْشِ لَـمْ يَـزَلْ حَزِينـاً عَلَى الدُّنْيَـا كَثِـيرَ غُبُونِهَـا

قال الإمامُ علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]: "إن الجنة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العباد"، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "العفةُ زينةُ الفقرِ، والشكر زينةُ الغنى، والشكر والورع جُنة".

* **فائـدة**: اعلم أن بين الحمد والشكر عموم وخصوص، فكل حمدٍ شكر ولا عكس، لأن الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة فتقول شكرت فلاناً لما أسدى إليَ من خدمة أو عمل ولا تقول حمدته، أما الحمد فيكون بسببٍ وبلا سبب، وبهذا المعنى فهو أعم من الشكر، وأما عند أهل الطريق لا يكون المريد حامداً شاكراً على معنى الحقيقة إلا إذا ابتُلي فصبر وإذا أُعطيَ فحَمد وشكر، لحديث صهيب قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ)**[2]، وذلك لا يكون إلا إذا أعطى مَن حَرَمَهُ، وعفى عمَّنْ ظلَمَهُ عند القدرة، ووصل من قطَعَهُ قال تعالى: ﴿ **وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ آل عمران:١٣٤ وهكذا في الباقي، فيتحقق فيه معنى الإخلاص والتفاني والإيثار فتكون عزيمته دائماً حاضرةً خلافاً لمن هو دونه.

---

1) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) تأليف قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي.

2) رواه مسلم.

قال الإمام عبدُ الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يُجَاهِدُ النَّفْسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينْ وَيَتَحَلَّى بِمَقَامَاتِ الْيَقِينْ
خَوْفٌ، رَجًا، شُكْروَصَبْرٌ تَوْبَهْ زُهْدٌ تَوَكُّلٌ رِضًا مَحَبَّهْ



﴿فصل في الرّجاء والخوف﴾

اِعلم أيها المريد أن الخوف هو كما قاله الغزالي في إحيائه: عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقُّع وقوعِ المكروه في المستقبل بعد أن تاب منه، وهو معرفة العبد بتقصيره في حقوق ربه، ودواؤُه بعد التوبة الزهدُ ثم الصبرُ ثم كثرةُ الشكر والمبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات، وإنه يكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغُرور لأن الخوفَ سوطٌ يسوق صاحبه كما أن الرجاء زمامٌ يقود صاحبه كما تقاد الدابة، وعن الخوف يكون الحزن، وبهذا المعنى فهما متلازمان، والحزن مفتاح الندم، والندم باب التوبة، بل معظمها وقطبها الذي تدور عليه، وقد أشار إلى ذلك ابن عطاء الله في حكمه العطائية حيث قال: "إن أردت أن ينفتحَ لك باب الحزن فانظر إلى موافقة النفس واتباعها المعاصي والشهوات وتقصيرها في العمل وإساءة الأدب ولا يُخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مُقلق" اِنتهى بتصرف.

وثمرة الخوف كما قال أبو علي الدقاق: "سببها كثرة الحزن حيث يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين"، قال تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ الأعراف:١٥٤، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران:١٧٥، ففي هاتين الآيتين أمرٌ بالخوف مشروط بالإيمان، فهو شرط وأداة شرط وجزاء شرط، ويوضحه ويبينه قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن:٤٦، ومثله قوله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ الأعلى:١٠ ، فجعل سبحانه وتعالى فضائل الأذكار مخصوصة بالخائفين وأكده بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات:٤٠ - ٤١، وفي هذه الآية التصريح بأن الخائفين المُكثرين من الخوف المبالغين بالالتجاءِ إلى الله تفضل عليهم بأن جعل لهم الجنة هي المأوى.

وأما الرجاء فهو ارتياح القلب وامتلاؤه بالطمأنينة حتى يحصل له الأنس والتشوق؛ لانتظاره وترقبه لما هو محبوب عنده، وسببه المباشر العلم والعمل وعدم الركون إلى الراحة من أجل تحقق الرجاء لذا قال ابن عطاء الله في حكمه العطائية "الرجاء ما قارنه العمل في كل الأحوال وإلا فهو أُمنِية"، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة:٢١٨، ونبه سبحانه الناس على ما يتوهمون أنه رجاء فذمهم لأنهم عولوا على محض تشوف الثواب والفتح والرجاء من غير تعاطٍ لأسبابه مع الركون إلى الراحة وتمنيهم على الله الأماني ظناً منهم أن ذلك هو الرجاء المأمور به فسماهم ووسمهم بأنهم خَلفْ والخَلفُ من الناسِ كل ما هو رديء فقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ الأعراف:١٦٩، وعن شداد بن أوس أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: **(اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِـمَـا بَعْدَ الْـمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّـهِ الْأَمَانِي)**[1]، والرجاء علمٌ بأوامر الله ونواهيه وحالٌ يتلبسُ به الراجي فيرتاحُ القلب لذلك، وعملٌ ينشأُ بسبب الاجتهاد في الطاعات وكثرة فعل الخير، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء:٩٠، وإن أردت

---

1) رواه الترمذي.

أن تعرف قدرك عند الله فانظر فيما أقامك فيه، ومن أحسن العمل وأخلص فيه أحسن الظن بالله" اِنتهى بتصرف.

واعلم أن الرجاء الصادق لايتوقف على تحصيل جميع الأعمال الصالحة، وإلا لم يتصور وجوده بهذا المعنى من أكثر الخلق، مع أن أصل معناه وتحققه حاصلٌ لأكثر أهل الله، لأن شُعَبَ الخير كثيرةٌ جداً، وطرق السعادة منتشرةٌ ويصعب حصرها، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(اَلْإِيمَـانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْـحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَـانِ)**[1].

قلت: إن أردتَ أن يُفتح لك باب الرجاء فانظر إلى ما منَّ به الله عليك من النعم الدنيوية من إيجاد وإمداد ودفع النقم الدَنية وتحصينك مما يدور حولك من أهل الحسد والحقد، وعدم مُجازاتك على سوءِ أدبك مع خالقك، ودفع المكاره عنك قليلها وجليلها، وتأييدك ونصرتك مع عدم استحقاقك لذلك إنما لحكمة هو يعلمها فيك، فعند ذلك تتبصر وتفهم حقيقة الرجاء إن كنت من أهله فتدبر اِه.

وليُعلم أن تغليب الخوف هو الأفضل عند أهل التحقيق كما قاله الحسن البصري وتبعه عليه غالب أهل الله إلا عند الموت فتغليب الرجاء هو الأفضل وذلك كما قاله الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

وَلَـمَّـا قَسَـا قَلْبِي وَضَـاقَتْ مَـذَاهِبِي جَعَلْـتُ الرّجَـا مِـنِّي لِعَفْـوِكَ سُلَّمَـا
تَعـاظَمَنِي ذَنْـبِي فَلَمّـا قَارَنْتُـهُ بِعَفْـوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْـُوكَ أَعْظَمَـا

---

1) رواه مسلم.

ولِمَا جاء عن أنس قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ يقول: قال الله تعالى: **(يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَـاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)**[1].

والمسألةُ يطول الكلام عليها وقول الحسن البصري والشافعي خلاصته أن الخوف مطلوب عند القوة والفتوة وملازمة الشخص لطول الأمل، والرجاء مطلوب عند الضعف والمرض وقرب الأجل لأن فيه حسن الظن بالله، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: يقول الله تعالى: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)**[2].

قال الإمام علي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ[3]: "إِلَهي أرجوك رجاءَ من يخافك، وأخافك خوف من يرجو ثوابك، فقني بالخوف شر ما أحذر، وأعطني بالرجاء خير ما أُحاذر"، وقال أيضاً: "إِلَهي مددتُ إليكَ يداً بالذنوب مأسورة، وعيناً بالرجاء مذرورة"،

---

1) رواه الترمذي.

2) رواه البخاري ومسلم.

3) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ) تأليف قاضي القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي.

وسئل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أي الناس خير عند الله قال: "أخْوَفهم لله وأصبرهم على التقوى وأزهدهم في الدنيا".

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

يُجَـــاهِدُ النَّفْـــسَ لِـــرَبِّ الْعَـالَمِيـــنْ   وَيَتَحَـــلَّى بِمَقَـامَـــاتِ الْيَقِيـــنْ
خَـــوْفٌ رَجًـــا شُـــكْرٌ وَصَـــبْرٌ تَوْبَـــهْ   زُهْـــدٌ تَوَكّـــُلٌ رِضَـــا مَـحَبَّـــهْ



﴿خَـاتِمَـةٌ﴾

بـاب في خصوصيّة ذكر (لا إلٰه إلا الله)
واسم الله المفرد (اَللَّـهُ)
و(الصّلاة على سيدنا رسول اللّـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ)

ينبغي على المريد ألا يضيع من أوقاته شيئاً، فيُعين لكل وقت عملاً يخصه مما يعود عليه نفعاً ديناً ودنيا، فالعبد لا خلاف أنه ذاهب لملاقاة ربه، فأردت في هذا الباب الإشارة إلى ما يشغل به العبد جل وقته ليكون راضياً مرضياً، مع مراعاة الاختصار والمحافظة على الأصل، فالأدلة في هذا الباب يصعب حصرها فاكتفيت بذكر ما يحتاج إليه المبتدي، وما لا يستغني عنه المنتهي، فأقول بالله التوفيق:

﴿فصل في ذكر (لا إله إلا الله)﴾

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ محمد:١٩، وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه:١٤، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ آل عمران:١٨، وجاء في الحديث المسلسل بالآل عليهم السلام عن الإمام على بن أبي طالب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(سَمِعْتُ جِبْرِيلَ يَقُولُ: قَالَ اللَّـهُ: أَنَا اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، يَا عِبَادِي فَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي)**[1]، ولما جاء عن ابن عمر أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَـهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّـهِ)**[2] والحديث متواتر، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قـال: **(وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْـلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[3]، وعن شداد بن أوس قال: إنّا لعند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذ قـال: **(هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ، فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً**

---

1) رواه ابن عساكر.

2) رواه البخاري ومسلم.

3) رواه الترمذي.

ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ {وآله} وَسَلَّمَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: الْـحَمْدُ لِلَّـهِ، اَللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَـرْتَنِي بِهَـا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَـا الْـجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَـالَ أَبْشِـرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَـرَ لَكُمْ)[1]، وهذا أهم دليل عند الصوفية لتلقين الذكر.

أما من أراد أن يشرع بذكر لا إله إلا الله فينبغي له أن يعتني بشأنها فيختار الأزمنة المشرفة كوقت السحر وهو أجل الأوقات وأشرفها، وبعد الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد العصر إلى غروبها، أو ما يناسبه من الأوقات.

فيتطهر طهارة معنوية وحسية فيتوضأ ويلبس ثياباً طاهرة، ويتطيب، ويتسوك، ويقصد موضعاً طاهراً، وليتحرَّ الخلوة والانفراد عن الخلق أو مع جماعة، ثم يجلس ويستقبل القبلة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ثم يستفتح ورده **بالاستعاذة من الشيطان الرجيم** لما جاء عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من **الليل** يقول: **(أَعُوذُ بِاللَّـهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ)**[2]، ثم يسمِّي **بسم الله الرحمن الرحيم** لما جاء عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **(كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ)**[3]وفي لفظ: **(أَبْتَرُ)**، وفي لفظ: **(أَجْذَمُ)**، **ثم يحمد الله تعالى** لحديث فضالة بن عبيد قال: **(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ {وآله} وَسَلَّمَ: عَجِلْتَ أَيُّهَا**

1) رواه أحمد والحاكم والطبراني وابن حبان.

2) رواه أبو داود والترمذي.

3) رواه الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع.

الْـمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدْ اللَّـهَ بِمَـا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ، ثُمَّ ادْعُهُ، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّـهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْه {وآله} وسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ {وآله} وَسَلَّمَ: أَيُّهَا الْـمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ)[1]، ثم **يستغفر الله تعالى** عشر مرات ليتخلى من أمراض القلب قبل أن يتحلى بتطيبه بالذكر فعن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ قال: **(إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)**[2]، **ثم يصلي على سيدنا ومولانا رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ لحديث فضالة السابق وفيه **(وَصَلِّ عَلَيَّ)، وبعد أن يأتي بهذه الأمور يشرع بذكر ورده من (لا إله إلا الله)** بالطريقة التي تلقاها عن السادة العلماء: فيمد الألف مداً طبيعياً من (لا) أو أكثر، ويحقق الهمزة ويفتح الهاء من (إلهَ) ويسكن الهاء من (اَللَّـهْ)، وأقله عشر مرات، وأما أكثره فلا حد له، ثم يختم ورده بما بدأ به من حمد لله وصلاة على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ.

*** واعلم أيها المريد أن المواظبة على ذكر لا إله إلا الله تحصل بها على فوائد كثيرة منها:**

1) خلو باطنه من الميل إلى فانٍ، وفراغ القلب من الثقة بزائل وإن كانت اليد معمورة بمتاعٍ حلال.

2) ثقة القلب بربه بحيث يسكن من الاضطراب.

3) التجافي عن مطالبة الخلق بالإحسان إليه.

---

1) رواه الترمذي والنسائي.

2) رواه أحمد.

4) غناء القلب وسلامته من فتن الأسباب، فلا يعترض على الأحكام بـ: لو ولا بـ: لعلّ.

5) وضع البركة في المال والطعام وغيرهما.

واعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها إلا كونها علامة على الإيمان في الشرع لا تعصم الدماء والأموال إلا بحقها، وكون إيمان الكافر موقوفاً على النطق بها، وما ورد في فضلها من أحاديث كثيرة وكثيرة جداً وقد ذكرنا برأس القلم منها، وقد ألف العلماء في ذكر لا إله إلا الله مؤلفات، منها رسالة في معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لبدر الدين الزركشي، وغيرها كثير، فهذا كاف للعقلاء لتلقيها وترديدها والاعتناء بها، وهو ديدن الطريقة الشاذلية.



﴿فصل في ذكر اسم الله المفرد (الله)﴾

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام:٩١، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ البقرة:٢٥٥، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ الحج:٦٢، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص:١،

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّـهُ اَللَّـهُ)**[1] وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)** قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: **(الذَّاكِرُونَ اللَّـهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)**[2]، وعن معاذ بن جبل قال: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّـهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ؟** قَالَ: **(أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ)**[3].

ـ **أما من أراد أن يشرع بذكر الاسم المفرد** (الله) فينبغي له أن يعتني بشأنها، فيختار الأزمنة المشرفة كوقت السحر وهو أجل الأوقات وأشرفها، وبعد الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد العصر إلى غروبها، أو ما يناسبه من الأوقات، فيتطهر طهارة معنوية وحسية، فيتوضأ ويلبس ثياباً طاهرة، ويتطيب، ويتسوك، ويقصد موضعاً طاهراً، وليتحرّ الخلوة والانفراد عن الخلق، أو مع

---

1) رواه مسلم.

2) رواه مسلم.

3) رواه الطبراني.

جماعة، ثم يجلس ويستقبل القبلة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ثم يستفتح ورده **بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، ثم يسمي بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يحمد الله تعالى، ثم يستغفر الله تعالى عشر مرات، ثم يصلي على سيدنا ومولانا رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - كما مر معنا في ذكر لا إلٰه إلا الله -.

وبعد أن يأتي بهذه الأمور يشرع بذكر الاسم المفرد (**الله**) بالطريقة التي تلقاها عن السادة العلمـاء، فلا يمد (الألف) مداً طويلاً يخل باللفظ فينقلب المعنى إلى استفهام، وينبغي أن يسكن الهاء، ولا ينقص حرفاً من حروف اسم الله المفرد، بل ينطقها كاملة مع تحقيق حرف الهاء وإخراجه من مخرجه، وأقل الذكر بالاسم المفرد (الله) عشر مرات، وأما أكثره فلا حد له، ثم يختم وِردهُ بما بدأ به من حمد لله وصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

*** وقد ذكر العلماء فوائد كثيرة يتحصل منها العبد من المواظبة على ذكر الاسم المفرد (الله) منها:**

1) التوفيق في اجتناب نهي الله عز وجل وامتثال أمره.

2) التخلص من الغفلة والنسيان بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان.

3) غلبة الخير على الشر.

4) جلاء القلوب بنور المولى سبحانه وتعالى.

5) زيادة القرب من الله عز وجل.

واعلم أن هذا الاسم قد كثرة التآليف فيه والكلام عنه، وذلك للحث على الذكر به لمحبة الله له، وتعظيمه عنده، وعلو مقداره، وتخصيص فضله، وإظهار شرفه، لكي تشرق على القلوب والأبدان شموس أنواره، وقد ألف ابن عطاء الله السكندري كتاباً سماه: "الله: القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد".



﴿فصل في الصّلاة على سيّدنا رسول اللّٰه﴾

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب:٥٦، والأحاديث في فضلها والأمر بها أكثر من أن تُحصر، ولكن نشيرُ إلى أحرفٍ من ذلك تنبيهاً على ما سواها، وتبرّكاً بذكرها، فعن أُبي بن كعب قال: (**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: إِذاً تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**)[1]، وعن جابر بن عبد الله **أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **رَقَى الْمِنْبَرَ فَلَمَّـا رَقَى الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: (آمِينَ) ثُمَّ رَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: (آمِينَ)، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: سَمِعْنَاكَ تَقُولُ آمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ: (لَـمَّـا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: (آمِينَ)، ثُمَّ قَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ: (آمِينَ) ثُمَّ قَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: (آمِينَ)**[2]، وعنْ جابر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّـهِ وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **إِلَّا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ**

1) رواه الترمذي.

2) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبري في تهذيب الآثار.

جِيفَةٍ)[1]، وَعن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْراً صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّـهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ وَبَرَاءَةً مِنَ النَّـارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّـهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ)**[2].

فمن أراد أن يشرع بورد الصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فينبغي له أن يعتني بشأنها فيختار الأزمنة المشرفة كوقت السحر وهو أجل الأوقات وأشرفها، وبعد الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد العصر إلى غروبها، أو ما يناسبه من الأوقات، فيتطهر طهارة معنوية وحسية فيتوضأ ويلبس ثياباً طاهرة، ويتطيب، ويتسوك، ويقصد موضعاً طاهراً، وليتحرّ الخلوة والانفراد عن الخلق أو مع جماعة، ثم يجلس ويستقبل القبلة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ثم يستفتح ورده **بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، ثم يسمي بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يحمد الله تعالى، ثم يستغفر الله تعالى عشر مرات، ثم يصلي على سيدنا ومولانا رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ - كما مر معنا في ذكر لا إله إلا الله -، وبعد أن يأتي بهذه الأمور يشرع بذكر الصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وهناك صيغ تعددت وتنوعت منها الطويل ومنها القصير، والطريقة الشاذلية قد اتخذت من صيغة (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا) شعاراً ودثاراً لها.

---

1) رواه الطيالسي.

2) رواه الطبراني.

وأقل ذكر الصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عشر مرات، وأما أكثره فلا حد له، ثم يختم ورده بما بدأ به من حمد لله وصلاة على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

٭ وقد ذكر العلماء فوائد كثيرة يصعب حصرها بمكان في الصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **نأتي على نُتفٍ منها:**

1) امتثال أمر الله بالصلاة على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

2) موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

3) موافقة الملائكة في الصلاة عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

4) حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلي على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ واحدة.

5) أنه يُرفع عشر درجات.

6) يُكتب له عشر حسنات.

7) تُمحى عنه عشر سيئات.

8) تُرجى له إجابة دعوته.

9) أنها سبب شفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

10) أنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب.

11) أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه.

12) أنها سبب لقرب العبد منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

13) أنها تقوم مقام الصدقة.

14) أنها سبب لقضاء الحوائج.

15) أنها سبب لصلاة الله والملائكة على المصلي.

16) أنها سبب زكاة المصلي والطهارة له.

17) أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

18) أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

19) أنها سبب لرده صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على المصلي عليه.

20) أنها سبب لتذكير ما نسيه المصلي عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

21) أنها سبب لطيب المجلس وألا يعود على أهله حسرة يوم القيامة.

22) أنها سبب نفي الفقر عن المصلي عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

23) أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

24) نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **(رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)**[1] .

25) أنها تأتي بصاحبها إلى طريق الجنة.

26) أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ولا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

27) أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدأ بحمد الله والصلاة على رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

1) رواه أحمد.

28) أنها السبب لفوز العبد بالجواز على الصراط.

29) أنها تخرج العبد عن الخفا بالصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

30) أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلي عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بين السماء والأرض.

31) أنها سبب رحمة الله عز وجل.

32) أنها سبب للبركة.

33) أنها سبب لدوام صحبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إلا به.

34) أنها سبب لمحبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ للمصلي عليه.

35) أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

36) أنها سبب لعرض المصلي عليه وذكره عنده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

37) أنها تثبت القدم.

38) تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا.

39) أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إنعامه.

40) إن الصلاة عليه من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل فتارة يدعو لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يخفى ما في هذا من المزية للعبد.

* وإنّ من أعْظم الثمرات وأجمل الفوائِدِ المكتسبات بالصَّلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ انطباع صورته الكريمة في النَّفْسِ انْطباعاً ثابتاً متّصِلاً، وذلك بالمُداومة على الصَّلاة على النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بإخلاص القَصْدِ

وتحْصِيل الشروط والآداب، وتدبّر المعاني حتى يتمكَّن حبُّهُ في الباطِنِ تمكّناً صادقاً خالصاً تَصِل به نفس الذَّاكر لنفس النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويُؤلّف بينهما في محَلّ القرب والصفاء، تأليفاً بحسب تمكن حبه من النفس فالمرء مع من أحب والحب يوجب الاتباع للمحبوب، والاتباع يؤذن بالوصال، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ النّساء:٦٩، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وفي هذا الفصل لا نجد عالماً من أهل الله إلا وحبر قلمه وكتب في فضل الصلاة علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فكانت المؤلفات يصعب حصرها وعدها ومن أجمعها وأفضلها "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للإمام العلامة الحافظ شمس الدين محمد السخاوي.

* نسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يجعلنا سالمي الصدور، مطهرينَ من الذنوب، مستورينَ من العيوب، إنه علامُ الغيوب، راجين أن يتداركنا الله برحمته، ويجعلنا من أهل عنايته، ويشملنا بعمومِ لُطفهِ الخفي، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة حقيقٌ وجدير.



﴿خَـاتِمَـةٌ﴾

وتمّ الفراغ من كتابته يوم السبت 19 جمادى الآخرة 1435 هجري الموافق 19 أبريل 2014 رومي من أيام اشتداد المحنة والابتلاء، على الساعة الحادية عشر ليلاً، غزةِ الأعزةْ حماها الله تعالى وحرسها ولطف بها وبأهلها آمين يا رب العالمين.

وكتب خادم العلم الشريف العبد الفقير إلى مولاه الراجي عفوه ورضاه

أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام

الحسيني المالكي الشاذلي التونسي الفلسطيني الأصل اللبناني المولد

كان الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين بمنِّه وكرمه

آمين آمين آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلِّ اللّٰهُمَّ على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.





﴿فَهْـــرَسُ الْمَـــوْضُـــوعَـــاتِ﴾

الْمَـــوْضُـــوعُ:

تَـمَّ الْفَهْـرَسُ بِحَمْـدِ اللّٰهِ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات
التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps